

بطرس الرواية

ميادة مدحت

ميسون



بطرس
رواية
تأليف / ميادة مدحت

مقدمة

عندما يختلط الحابل بالنابل فتنهار القيم والمبادئ ويصير الفساد مذهباً والاستبداد عقيدة ويصبح الشعب أسوأ من حكامه، يتحتم علينا أن نتوقع الأسوأ ..
وعندما تنعدم الرؤية في ضباب كابوس الواقع المرير يصبح السقوط في هاوية التطرف أو الحرب الأهلية احتمال وارداً....
في ظل الظلم يشتد التوق إلى نبي تولد على يديه شمس العدل من جديد ، ولأن عصر الأنبياء ولى بلا رجعة
وجب علينا البحث حولنا وداخلنا لعننا نجد منا أنبياء يطهرون الأرض من رجسها ...
أنبياء بلا وحى

ميادة مدحت

الفصل الأول

أغلقت الباب خلفها وأسرعت إلى المصعد وأمام المرآة أحكمت حجابها ثم راحت تتأمل وجهها وتصلح هندامها مازال شكلها بالحجاب يثير دهشتها رغم أنها ترتديه منذ عامين .. خرجت من المصعد ووقفت أمام العمارة فتوقفت أمامها سيارة أجرة وهتف سائقها الدميم الذى بدا فى الستين من عمره هاتفًا بها فى سماجة: - ما تركب معايا يا قمر .. تجاهلت النظر إليه حتى انصرف ومرت إحدى سيارات الأجرة فأشارت لها وتوقفت السيارة فاستقلتها قائلة للسائق:

- نقابة الصحفيين من فضلك

فى الطريق هبت نسمة هواء رطبة وصافية، وداعبت النسمة وجنتيها فحفق قلبها وتذكرت كيف كان شعرها الناعم الطويل ينسدل خلفها ويطير مع النسيم قبل أن ترتدى الحجاب ورغم أنها لم تعتبر نفسها عورة فى يوم من الأيام إلا أنها وجدت نفسها محاطة بسيل من المواعظ فى الكلية والمنزل والعائلة حتى صديقاتها كلهن محجبات هذا غير التحرشات التى كانت تكايدنها فى الشارع والمترو . لقد كانت انتصار دائما خاضعة للمجتمع فى المظاهر والتقاليد إلا أنها لم تستطع منع نفسها من الميل للسياسة ثم العمل بها لأول مرة من خلال حركة كفاية ربما كان هتافها ضد الحكومة و النظام يشبع رغبة جياشة بداخلها للهتاف فى وجه أبيها المستشار والذى عمل فى بداية حياته ضابط شرطة وكانت دائما تسخر منه وتشببه بعسكرى الدرك الذى كان يصرخ فى الأفلام القديمة:

- ها مين هناك ..

كان صارما للغاية وكأنه ماكينة كبرى تصدر الأوامر فقط .. وظلت انتصار فى أسره حتى تمت إعارته إلى السعودية وقتها فقط شعرت انتصار بالحرية الحقيقية .. كانت تنظر إلى خالها اليسارى الكبير الذى توفى منذ عامين على أنه مثلها الأعلى، كان لا يمل من الحديث معها لساعات يجيب على أسئلتها ويشرح لها موقفه من الحياة ويقص عليها ذكرياته، وفجأة رحل خالها مزدردا إهانة لم يتحملها حينما اختطف بعد مشاركته فى إحدى الوقفات الاحتجاجية وضربه أحد المخبرين على قفاه.. لم يتحمل وهو فى الخامسة والستين ما كان يتحملة فى الثلاثين فمات. وبانضمامها إلى حركة كفاية كانت تشعر بأنها تكمل مسيرة خالها وتمارس حقها فى الصراخ والهتاف والرفض. وعندما انخرطت فى الحركة وبدأت تشارك فى المظاهرة تلو الأخرى نما وعيها أكثر، لم تعد المسألة شخصية فى نظرها بدأت تقرأ وتفهم وتعرف أن أى وضع فردى خاطيء أو مأساوى هو بالضرورة انعكاس للوضع العام ولأول مرة تحب انتصار كلية الحقوق التى التحقت بها دون رغبتها وصار حلمها أن تمتلك مكتبا للمحاماة بعد التخرج وأن تتزوج بطلا قوميا أو على الأقل عضوا سياسيا نشطا فى كفاية.. سألتها إحدى صديقاتها ذات مرة:

- مش خايفة على نفسك من البوليس؟

- واخاف ليه؟ والذى مستشار كبير وأنا مسنودة و خالى علمنى أن الغضب الذى يسببه الظلم سيأتى عليه لحظة حتمية ويصبح أقوى بكثير من أى خوف .. ساعتها نبهتها تلك الصديقة إلى أنها بدأت تستخدم الفصحى كثيرا فى حوارها كما أن حديثها أصبح مملا وصعب الفهم، وفى خلال أشهر قليلة من بداية نشاطها السياسى كانت علاقة انتصار قد انقطعت بصديقاتها كلهن إما لأنهن عجزن عن التواصل مع اهتماماتها الجديدة وإما لخوفهن من التورط أمنيا..

.. وصلت السيارة إلى نقابة الصحفيين فترجلت انتصار بعد أن أعطت السائق أجرته وعبرت الشارع إلى مقر النقابة حيث كان هناك تجمع كبير من الناشطين على السلالم وكان هناك كردونا أمنيا ضخما يحاصر منطقة وسط البلد كلها ،وفى داخلها ارتجفت انتصار للحظة ولكنها شجعت نفسها قائلة:

- ياللا يا انتصار دى مش المرة الأولى اللي تنزلى فيها مظاهرة

وهمت انتصار بعبور الشارع ولكن الأرض انشقت فجأة عن سيارة ميكروباص زرقاء زجاجها معتم وفى لحظة وجدت انتصار نفسها داخل السيارة التى دفعها إليها مخبر ضخم وحاولت انتصار المقاومة لكن الضرب الذى انهال عليها من ثلاثة وحوش كانوا داخل الميكروباص المخيف أفقدها الوعي تماما..

ابتسم بيتر عوني للكاميرا فى إرهاب وأمسك الميكروفون ليبدأ فى سرد تقريره المصور عن أحداث يوم الاستفتاء على تعديل المادتين 67 و 77 من الدستور المصرى قائلا:

- لن تنسى منطقة وسط البلد هذا اليوم من عام 2005 حيث حاصرت جحافل قوات الأمن المركزي المنطقة ، المشهد يوحى أن ثمة معركة حربية على وشك الحدوث، وعلى سلم نقابة الصحفيين كانت هناك حشود غفيرة من المدنيين يتظاهرون، بالقرب من ميدان التحرير، وعلى كورنيش النيل كان هناك جيشا من السيارات والميكروباصات التصقت ببعضها واختنقت في زحام ليس له مثيل حيث اتضح لنا من مشهد الركاب المتذمرون في صمت أن المواجهة في وسط البلد قد حكمت عليهم أن تتوقف حياتهم وأن يوقفوا ساعات اليد عن الخفقان حتى تحسم نتيجة المعركة غير المتكافئة. في أحد الميكروباصات التي كنت أفق إلى جوارها دارت مناقشة حامية الوطيس حول ما إذا كان السبب في هذا الزحام ووقف الحال المتظاهرون أم قوات الأمن.

..ومن أحد أوتوبيسات النقل العام أخرج المواطنون رؤوسهم ليشاهدوا بيتر وهو يتحدث أمام الكاميرا وراح البعض يلوح للعدسات فى بلاهة والتفت أحد الركاب إلى رفيقه فى المقعد المجاور قائلا:

- هما الجماعة المعارضين دول فاكرين نفسهم هيغيروا الكون.. هما هيستفيدوا إيه لما يعطلونا ويغضبوا النظام؟

وازدرد الرجل الآخر لعابه ولم يجب بل أدار وجهه للناحية الأخرى وكأنه لم يسمع فتبرع أحد الركاب والذي كان واقفا ويستند بكتا يديه إلى المقعد الذى كانا يجلسان عليه ويكاد عرقه يسيل على وجوههم قائلا:

- انت عايزهم يسكتوا على الفساد والرشوة والاستبداد؟ ثم يا أخي كتر خيرهم أهم بيثورلنا سلف، وبيتهدلوا في المعتقلات نيابة عننا.

يقاوح المواطن اليائس الأول معترضا:

- دى مش ثورة ده غباء، وهو إحنا كنا استفدنا إيه من المظاهرات وقال أعضاء كفاية مسمينا الأغلبية الصامتة.. صامته ازاي ده إحنا حتى مبنبطلش كلام، هو إحنا بنعمل حاجة طول حياتنا غير الكلام؟ ثم إن الثورة إللى متوصلش أصحابها للحكم متبقاش ثورة

.. استبد الحر والقهر بالمواطن اليائس الثاني وتصور أن غريمه في النقاش هو أحد أعوان النظام فيحتد عليه صارخا :

- أنت إيه يا أخي شانن حرب نووية على اللي بيتظاهروا ليه؟ أنت مرشد للأمن ولا إيه نظامك؟
يثور الآخر ويرغى ويزيد:

- أنا مرشد يا ابن الس.....؟

ويتحول النقاش بالكلمات إلى صراع بالكلمات

وعلى الناصية الأخرى يواصل بيتر عوني تقريره أمام الكاميرا قائلا:

- والغريب أننا التقطنا في هذا اليوم أكثر من ثلاثين مشهدا لمشادات بين الناس في إشارات المرور في وسط البلد ولا أستبعد أن يكون السبب واحد، يبدو أن الناس فى مصر غاضبون من الحكومة ولكنهم يفضلون تفرغ هذا الغضب في صدور بعضهم البعض بدلا من إطلاقه في وجه النظام، إما لخوفهم من بطشه وإما لأن إعلامه قد غيبيهم حتى صاروا لا يعرفون لهم عدوا فلا يحاربون غير طواحين الهواء.

غير أن أكثر ما أثار انتباهي هو أحد العساكر في أواخر العقد الثالث من عمره قوى البنية ملامحه متيبسة وعيونه مبيطة يضرب بعنف وقسوة ولكن بدون أدنى تعبير عن الغضب على وجهه، ولولا أنى أعلم أن مصر

من الدول المتخلفة تكنولوجيا لقلت أن هذا العسكري ما هو إلا إنسان آلى ابتكرته قوات الأمن في مصر لتضمن وجود عسكري مطيع للأوامر وبدون نقاش وعنده القدرة على التنفيذ بدون ضمير يردعه ولا عقل يمنعه. لقد أذهلني أن أعرف أن زملاءه يطلقون عليه لقب "عسكري الدرك"، وهو اللقب الذى كان يطلق قديما على العسكري المكلف بحراسة الشوارع ومنع حدوث حوادث السرقة والاغتصاب وما إلى ذلك، هذا ما فهمته من صديقي المصري، ولكن ما لم أتمكن من فهمه كيف يسميه زملاؤه "عسكري الدرك" في الوقت الذي كان يرى ويسمع بل ويشترك في عمليات هناك أعراض المتظاهرات بل إننى لمحت في عينيه السعادة وهو يمزق ملابس إحداهن ويتناول على حرمة جسدها، لقد رأيته يضرب زميلا له أقل بكثير في الحجم ليأخذ منه هاتفا نقالا كان يخص أحد المتظاهرين ثم يدسه في جيبه وكأنه حق مكتسب له؟ هل يعتقد هذا العسكري أن الناشطين السياسيين والحقوقيين لصوص؟ ترى هل استغلوا جهله ليوهموه بذلك؟ أم أنه يعلم حقيقتهم ويعلم حقيقته فيصر على إصاق هذا اللقب بنفسه حتى ينفى عنه تهمة اللصوصية؟

كان معكم

بيتر عوني

القاهرة

من أمام نقابة المحامين

جلس "عماد" وكيل النيابة الشاب على مكتب أنيق مرتديا بذلة كاملة وربطة عنق فكها قليلا ثم قام ليخلع الجاكت ووضع على ظهر المقعد بعناية وهو يرمق بإعجاب الفتاة التي دخلت عليه للتو وأشار إلى الكاتب أن يسجل وقائع التحقيق مع الصحفية الشابة التي جلست متهاككة على المقعد أمام الوكيل ليسألها:

- اسمك وسنك وعنوانك ووظيفتك

وتجيبه الصحفية التي كانت ملابسها ممزقة وتستر جسدها المرتجف بجاكيت رجالي أسود اللون

- هدى محمود قدرى، 28 سنة صحفية بجريدة الرأي، عنوانى 4 ش الخلفاوى/ شبرا

- لقد قدمتى بلاغ يفيد بتعرضك لهتك العرض العلني على مدخل مقر نقابة الصحفيين في المظاهرات التي قامت بها حركة كفاية للاحتجاج على استفتاء تعديل المادة 76 من الدستور.. - ما سبب تواجدك هناك؟ أجابته هدى:

- كنت مكلفة من الجريدة بتغطية أحداث المظاهرة وذهبت إلى هناك لتأدية عملي

- وعملك هذا إجبارى ألم يكن من الممكن أن تعتذري عنه؟

ردت هدى بعصبية واستنكار:

- هو سيادتكم بتحقق معايا أنا بدل ما تستدعى المجرمين اللي ارتكبوا الواقعة وتحقق معايم؟

فمال عماد إلى الامام ورد متأملا هدى:

- ما هو لما واحدة بالجمال والأوثنة دى كلها تنزل مظاهرة فيها أشكال مش ولا بد من البديهي أن تتعرض لكوارت.. متوقعة ايه من شوية شباب ضايعين بيعملوا هرج ومرج.. ثم التفت إلى كاتبه وصرخ فيه:

- انت بتكتب ايه يا زفت؟ متكتبش السؤال اللي فات يا غبى.. اشطبه

ثم يلتفت إلى هدى التي تجيبه بحسرة:

- الشباب اللي حضرتك تقصدهم كانوا بيعبروا عن رأيهم مش أكثر، ومنتساش يا فندم إن الشباب دول هم اللي خلصوني وستروني بهدومهم، اللي عملوا كده كانوا من الأمن يا فندم
يرد عماد باستهزاء :

- طب احكى لى يا هانم اللي حصل لك

ارتجفت هدى وامتقع وجهها شديد البياض وقالت :

- حوالى الساعة العاشرة صباحا كنت أمام نقابة الصحفيين ومعى زميلي المصور الذي يرقد الآن في المستشفى بعد أن تم ضربه ضربا مبرحا، بدأت في إجراء بعض الحوارات السريعة مع المتظاهرين بينما كان زميلي يلتقط صورا للمظاهرة، عندما لاحظت اقتراب بعض الشباب من الجهة المواجهة لنا والذين كانوا يهتفون للنظام يقتربون منى ثم حاصرونى في شكل دائرة كنت فى منتصفها ومعى إحدى عضوات حركة كفاية وبدأ هجومهم علينا بالضرب ثم مزقوا ملابسنا وهتكوا عرضنا

- هل تذكرين عددهم وملامحهم بالتفصيل؟

تبكى هدى ثم تمسح دموعها قائلة:

- كانوا ستة ولقد اخذوا أوامر مباشرة من الرائد وليد لقد سمعته بنفسى وهو يأمرهم قائلا: "قلعوها هدموها بنت الكلب دى".

اعتدل وكيل النيابة في جلسته وبدا مذهولا مما يسمعه وقال لنفسه:

- أنا عارف إن الضباط وسخين بس مش ممكن يكونوا وصلوا للانحطاط ده. ثم نظر لهدى بحزم ورفع صوته فيها:

- انتى عارفه انتى بتقولى ايه؟.. اللي انتى بتقوليه ده لو صحيح يبقى عليه العوض في البلد

أجهشت هدى بالبكاء وقالت:

- يبقى عليه العوض في البلد يا فندم

- كملى يا هدى

- اقتربوا منى وأخذوا حقيبتي وهاتفي المحمول، ثم بدأ اثنان منهم في التناول على جسدي وتمزيق ملابسى، وبدأت أصرخ وخصوصا أنهم كانوا قد أوقعوني على الأرض في محاولة اغتصاب حقيقية، ورأيتهم يضربون أحد المتظاهرين الذي حاول انتزاعي من أيديهم. وعندما انتبه زميلي لغيابي ورآني في هذا الوضع اقترب صارخا باسمي وسمعت واحد منهم يقول لزميله : الواد ده حلو قوى وهيعجب وليد بيه تعالى نمسكه، واتجها إلى زميلي محمد ليجروه إلى سيارة زرقاء ميكروباص تابعة للشرطة، بينما هذا الوليد بيه يرمقه باستهزاء غير طبيعى، وبعدها انشغلت بما يحدث لي حتى تمكن زميلين من الصحفيين من انتشالي من أيديهم وسترى بملابسهما. وبعدها عرفت أن محمد قاومهم بضراوة حتى انهم يئسوا من أمره فأشبعوه ضربا وألقوه على رصيف الشارع..... أكملت هدى سرد الوقائع ووكيل النيابة مشدوها بما يسمع وقبل أن تخرج هدى من المكتب التفتت إلى وكيل النيابة وكأنها قد تذكرت شيئا مهما:

- آه .. على فكرة يا عماد بك أقدر واحد من الستة اللي كانوا حواليه كان عسكري أمن مركزي أسمر وشكله وحش وواضح عليه الغباوة وهو يا فندم الذى وضع يده فىتطرق خجلا فيسألها:

- عرفتى اسمه؟

- لا لكن كان زمايله كانوا بيقولوا له "يا عسكري الدرك"..

انصرفت هدى مكسورة إلى منزلها واستدعى وكيل النيابة الشهود الذين أكدوا ما قالته هدى بل زاد بعضهم على ما قالته عما تعرضت له غيرها من الصحفيات وناشطات المجتمع المدني من هتك عرض وتحرش وسرقة.

بعد الانتهاء من أخذ أقوال الشهود التفت الكاتب إلى وكيل النيابة ليسأله:

- معقول اللي سمعناه يا فندم؟ يعنى الولية أم فاروق ممكن تنزل الشارع باحترامها وألقيها راجعالي ملط؟ طب ساعتها أبلغ مين؟ البوليس؟ طب افرض أن البوليس هو اللي كان مقلعها ساعتها أقدم بلاغ لمين؟..لم يرد وكيل النيابة على سؤال الكاتب ولكنه قال له:

- جهز نفسك بكرة نروح مستشفى المنيل الجامعي، عشان ناخذ أقوال المصور المضروب ثم يحدث نفسه قائلاً:

- أنا ورا الموضوع لما اعرف إيه اللي بيحصل في البلد.

.....

في اليوم الذى تلا الاستفتاء على تعديل المادتين 76،77 من الدستور وفى مقر إحدى الصحف القومية كان رئيس التحرير البدين جالسا فى مكتبه الفخم و يتحدث فى الهاتف بسعادة بالغة وعلا صوته وهو يقول لمحدثه:

- احنا تحت أمرك يا فندم اعتبرنا خداميك يا سعادة اللواء ، هههههه وإحنا في ديك الساعة لما ننفذ أوامر معاليك.. يرتج جسده الهلامي من الضحك وهو يمسك بالعدد اليومي من جريدته ويقرأ المانشيت الرئيسي:

- الشعب يقول كلمته بحرية.. نعم لتعديل المادة 76 من الدستور.. ما رأيك يا باشا؟ ويرد عليه الضابط الكبير بنبرة سخرية:

- عظيم جدا يا أجدع جورنالجي في مصر، وتبدل صوته وهو يقول بحده:

- انت مدرك فداحة اللي هيبته يا أفندي؟

- ايه اللي انا عملته يا فندم؟

- انت أثبت علينا تهمة تزوير نتيجة الاستفتاء.. ازاي تكون النتيجة الرسمية لم تعلن بعد وأنت بتقول في جريدتك اللي كانت فى السوق من امبارح أن الشعب قال نعم؟

ارتجف الصحفي ثم برقت عينيه وقال:

- وهو الشعب يقدر يقول لا يا فندم؟ ده يبقى حقيقي شعب ناكر للجميل وقليل الرباية لما يعترض على تعديل تقدم به رب عائلة مصر. وعندما لاحظ صمت اللواء أكمل في حماس قائلاً:

- وبعدين المعارضة كده كانت هنقول أن الاستفتاء مزور وتتهم الشرطة بتزوير النتيجة احنا كده نبقى حطينا حصوة في عين اللي مبيختشوش وإذا اتهموكوا هنقول إن إحنا أعلننا النتيجة قبلكوا وذلك بناء على

توجيهات السيد الرئيس

يصرخ اللواء في جزع:

- ايه؟

- آسف يا فندم أقصد بناء على نتائج استطلاعات الرأي التى قامت بها الجريدة

- يا سلام يا اخويا وانتوا عندكو مركز لاستطلاعات الرأي

- نعمله يا فندم وبتاريخ السنة الى فاتت .. وبعدين هو يعنى حد هيفتش ورانا؟ اظمن خالص سعادتك ده إحنا الكلاب المخلصة للحكومة يا بيه
يضحك اللواء ويقول للصحفي:
- أما انت يا عبده عليك حركات .. أتاريك موصلتش بالسهل
ويضحك رئيس التحرير حتى يسمعه صحفيان خارج مكتبه
- يا ترى مصيبة إيه اللي مخلياها يضحك أوى كده
- تلافيه بس مزود العيار حبتين النهارده رغم انى أسمع إنه مبيشربش الصبح

فى إحدى الغرف بمسشفى المنبل الجامعى جلس عماد "وكيل النيابة" فى غرفة محمد المصور الصحفى الذى تم ضربه فى مظاهرات الاستفتاء، وخرج الطبيب من الغرفة بعد أن طلب من وكيل النيابة عدم إرهاب المريض بالأسئلة..

اتجه عماد بنظره الى محمد الذى اختفى وجهه خلف الضمادات وسأله:

- اسمك وسنك وعنوانك ومهنتك

- محمد على 26 عام مصور صحفى ساكن فى بلوك 4 المساكن إمبابة

- ياريت تركز يا محمد وتحكى لى بالتفصيل الذى حدث لك

يرد محمد والدموع تملأ عينيه:

- ياريت انت يا باشا تحكىلى وتفهمنى ايه اللى حصل للبلد ، اللى حصل لى حصل وانتهينا ولكن نفسى افهم

ليه حصل؟

- هل لك اتجاه سياسى معين؟

- ولا حتى بافهم فى السياسة ، النقاط الصور ده أكل عيشى يا فندم، لكن الحيوانات ضربونى وسحلونى

والضرب ده زى ما عرفت من الممكن أن يؤثر فى قدرتي على الزواج مستقبلا. واضح إن الضابط الشاذ

اغتاظ لعدم قدرته على اصطيادي فأمر رجاله بحرمانى من رجولتي دول كانوا متعمدين الضرب فى مكن

رجولتي.. اختنق المصور بالدموع وشعر عماد أنه لا فائدة من استجواب رجل يبكى على أعلى ما يملك وقد

كان فى حالة من الذهول تعجزه حتى عن التفكير فما بالك بالرد على الأسئلة الرسمية بإجابات شافية. خرج

وكيل النيابة من الغرفة متألماً وقد بدأ يصدق ما يسمعه ويستوعب فكرة إن الذى حدث من جرائم كان حقيقياً،

وراح عماد يحدث نفسه صحيح أنه قد تغير بعد أن التحق بالعمل فى النيابة ففسخ خطبته من ابنة الحيران

ليخطب ابنه أحد المستشارين من رؤسائه وصحيح أنه يقبل بعض الهدايا والاكراميات لكنه كان يرى أن ذلك

لا يؤثر على عمله ولا يمنع أنه بالفعل يحب مصر وهو لم يؤذى أحدا أبداً أو هكذا كان يرى ولعل هذه

القضية تكون فرصته ليفعل شيئاً يفتخر به من خلال موقعه فهو مقتنع تماماً أنه ليس سيئاً مئة فى المائة ..

وبينما كان عماد يهبط فى أسانسير المستشفى والخاص بنقل المصابين والمرضى بعد أن فتحه له أحد الأطباء

وبينما راح ذلك الطبيب يطلب من عماد تقضية مصلحه له فى المرور كان كاتب النيابة يقنع أم المصور بدفع

عشرة جنيهات بحجة إنهم رسوم تحقيق، ولم تتخلص المرأة من سماجته حتى جاء أحد أصدقاء ولدها وعرف

الموضوع فضربه وهدده بالإبلاغ عنه بتهمة طلب رشوة، فرفعت الأم وجهها إلى السماء وهى تقول :

- بقى ياربى يحطموا ابني وكمان عايزين يا خدوا فلوس حلوة ما ضيعوه..حسبنا الله ونعم الوكيل. وفى

السيارة ينهر علاء الكاتب قائلاً:

- انت مبتشبعش أبداً يا بني آدم؟ هو مفيش تمييز؟

يدعى الكاتب عدم فهمه لما يقال فقال عماد:

- أنا عارف انت تأخرت فوق ليه؟

وارتبك الكاتب قليلاً ثم قال:

- عالم بخلاء يا علاء بيه.. إلا ما عزموا عليا بسيجارة..

- سيجارة إيه يا ابن العبيطة انت فى فرح؟ الناس حزينه على ابنها وأنت بتفكر فى السجاير والمينى رشوة

بتاعتك

فسبه الكاتب فى سره قائلاً :

- سببنا لك الرشوى الكبيرة يا علاء بيه..
وانطلقت السيارة إلى مقر النيابة

في مقر أحد الأحزاب المعرّضة بعد يومين من الاستفتاء دار نقاش ساخن بين الثلاثة الكبار في الحزب بدأه نائب رئيس الحزب قائلاً:

- لا بد أن يقاطع حزبا الانتخابات الرئاسية القادمة مثلما قاطعنا الاستفتاء

فيرد سكرتير عام الحزب:

- هو العفريت اللي عليك اسمه نقاطع؟ إذا كنا نسعى لوجود حقيقي في الشارع فمن الضروري أن نشارك لا أن نقاطع

ويستيقظ رئيس الحزب من نومه ليسأل:

- تقصد إيه؟

واجابه السكرتير العام

- أقصد أن يرشح الحزب أحد كواده في انتخابات الرئاسة

فيسأل رئيس الحزب:

- تقصد مين؟

ورد نائب الحزب مداها

- أكيد يقصد سيادتك يا فندم

- وهو أنا يا دكتور لو اترشحت هنجح؟ وبعدين انتوا عايزينى أقف قدام الرئيس كده حته واحده؟ انت عايز الصحافة القومية تتهمني بالسعي للحكم؟

يرد السكرتير العام

- أظن السعي للحكم لم يعد تهمة بعد التعديل الأخير في الدستور

رئيس الحزب

- هه انت بتصدق؟ ويرد النائب

- لازم كلنا نصدق يا فندم.. ده حتى النظام هيفرح أوى إننا هنشاركه الفيلم اللي هو عامله وف الآخر نطلع إحنا كومبارسات ونطلعه هو وحش الشاشة اللي هيكتسح الأصوات رغم وجود منافسين، وبهذا نكون ضربنا عصفورين بحجر، كسبنا رضا النظام وعلنا بروباجندا حلوة للحزب في الشارع السياسي

رئيس الحزب شاردا ببصره

- والله فكرة مش بطالة.. بس تفنكر بجد إن الرئيس هيرضى عنا لو عملنا كده؟

يهز وكيل الحزب رأسه بابتسامة

- بالتأكيد يا حاج وبعدين متنساش أن كل مرشح هايجصل على دعم مالي كبير من الحكومة أنا سمعت أنه ممكن يتجاوز النص مليون وده مبلغ ممكن ينفع الحزب ويتبقى شوية تعينهم للمستقبل

تلمع عيون رئيس الحزب -الذي بلغ من العمر أرذله - وقد راقته الفكرة وبيتسم ابتسامة عريضة أظهرت لمعان السنة الوحيدة التي ألفتها الأيام في فمه ..

ويتنهد سكرتير عام الحزب في ذهول وحسره قائلاً في سره: اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا!

وفى مقر حزب معارض عريق فى منطقة راقية جلس رئيس الحزب فى صالون فخم مرتديا حلة أنيقة للغاية - خلفه صورة زعيم الحزب الراحل- وجلس أمامه فى نفس الصالون بيتر عونى ودار بينهما حوار تليفزيونى بدأه بيتر عندما سأل رئيس الحزب:

-ما رأيكم فى التجاوزات التي حدثت يوم الاستفتاء؟

أجاب رئيس الحزب فى بلاغة :

- هذه ليست تجاوزات إنها جرائم بشعة: هناك عرض وضرب مبرح واعتقالات وسحل.. وسط البلد تحولت لساحة حرب بسبب عنف الأمن غير المبرر، هذه وسائل لا تستخدمها إلا النظم الشمولية المستبدة.. ويعقب بيتر:

- ولكن الأمن بيرر.. يقاطعه رئيس الحزب بحده قائلا:

- متقاطعنيش أنا لسه مكملتش.. مفيش ميرر أيا كان يجعلك تتعدى على الصحفيين أثناء أداء عملهم، أو تعقل شباب يعبرون عن رأيهم فى عصر انت بتترعم أنه أزهى عصور الديمقراطية فى مصر و تشرق ابتسامه مرحة على وجه بيتر الخمرى وهو يسأل:

- بمناسبة الديمقراطية وندائكم بتحديد فترات الرئاسة بحيث لا تزيد على اثنتين، هل تطبقون هذه القاعدة فى حزبكم الذى من المفترض أنه حزب ليبرالى؟

- لقد نادينا بالفعل بتحديد الفترات الرئاسية أسوة بالدول المتقدمة، ويضحك قائلا: أما بالنسبة لحزبنا فالوضع مختلف تماما و نو طبيعة خاصة فنحن حزب لا توجد فيه رئاسة بل زعامة وأبوة ولائحة الحزب لا تنص على تحديد فترات رئاسته، فهل تريدنا أن نخالف لائحة الحزب؟ سأله بيتر باستنكار:

- وهل دستور جمهورية مصر العربية ينص على تحديد فترات الرئاسة؟

فاجاب رئيس الحزب:

-لا.. ولكننا نطالب بتعديل الدستور

- نتمنى أن يتم ذلك وأن تعدلوا لائحة حزبكم لتتناسب مع الليبرالية التي تطالبون النظام بها. وهنا يتململ رئيس الحزب فى نفاذ صبر قائلا:

- أو عدك إن الموضوع ده يكون محل دراسة

- هل لديكم تعليق أو جملة تودون الختام بها

- نعم. أود أن أؤكد على قيم الديمقراطية وأطالب الحكومة وباقي أحزاب المعارضة بالافتداء بحزبنا العريق وبالممارسات الديمقراطية داخله

- شكرا يا فندم

وانصرف بيتر وهو يضرب أخماسا فى أسداس ليدخل السكرتير الخاص لرئيس الحزب قائلا:

- الأستاذ منصور خارج المكتب يا فندم وعائز يقابلك عشان يناقش قرار تعيين مصطفى السماك فى الهيئة العليا للحزب

- يعنى إيه يناقشني؟

- هو بيقول إن مصطفى ده يا فندم لا يتسم بطهارة اليد كما أنه ناصري قديم فكيف ينضم إلى حزب ليبرالى؟ ومنصور يحتج على

- يحتج؟؟ افصلوه اكتب لى قرار فصله من الحزب حالا

- لكن يافندم منصور من أهم الكوادر الشابة عندنا و..

رئيس الحزب:

- أنا قلت افصلوه فورا وإذا طولت في الكلام عن كده هافصلك انت كمان

-أمرك يا فندم

ويدق جرس الهاتف ليرد رئيس الحزب الليبرالي:الو.. أهلا يا دكتور ازيك...طبعا سنحتج وسنواصل الهجوم

على النظام الشمولي ده.. أنا وصلتني مستندات خطيرة من فاعل خير تقضح ممارسات الأمن يوم الاستفتاء..

آه فاعل خير مسمى نفسه عسكري الدرك..أنا لن أسكت.. إحنا أهم حاجة عندنا زى ما انت عارف هى

الديموقراطية.. الديموقراطية يا عزيزي.

فى أحد معسكرات الأمن المركزي جلس عبد الجبار فى ركن فى حوش المعسكر وقد ارتسمت عليه علامات التعب كان أسمر اللون أقرب للدمامة ضخم الجثة كان يعيش الآن أهم لحظات حياته .. اللحظة التى اكتشف فيها أخيراً أن بإمكانه أن يكون مهماً.. تنتشر الجرائد صورته فى صفحاتها الأولى وهو يوسع المتظاهرين ضرباً ولكنه لم يصل إلى هذا النجاح إلا بشق الأنفس .. يستند العسكري بظهره إلى الجدار ويجول بعينيه فى السماء، أما ذاكرته فتسافر إلى قريته فى إحدى محافظات الوجه القبلي منذ خمسة عشر عاماً حينما كان فى الثالثة عشر من عمره. يرى نفسه سعيداً ويضحك بينما يجرى فى الحقول مع أقرانه كانت بلدته جميلة للغاية الجبل خلفها والنيل أمامها وأهلها طيبون وبسطاء إلا أنه لم يدرك أبداً كنه الشيء الذى كان يدفعهم إلى تقديس القهر فى العهود التى لم يحكمهم فيها عمدة ظالم كانوا يظلمون هم أنفسهم وتنتشر جرائم القتل ثم الثأر للقتل بالقتل، حتى أنه كان دائماً يعتقد أن أهل قريته يعشقون الحزن ويحبون خناقهم تماماً مثل القطط. يقطع عليه جبل أفكاره صوت زميله عيد وهو ينادى عليه لأن عبد القوى باشا يريد، يقف العسكري وفى عينيه مزيج من الذل والغضب المكتوم ويهتف فى سره:

- عايز إيه تانى؟ يا ترى هيضربنى بإيه المرة دى؟

ويسير العسكري متناقلاً حتى يصل إلى باب غرفة الباشا مدير المعسكر وعلى الباب يقف العسكري الآخر وفى عينيه الخوف والتقدير للقدام ويفتح له الباب قائلاً فى إعزاز:

- اتفضل يا عسكري الدرك

ويدخل عسكري الدرك إلى مكتب عبد القوى الذى لا يرحم ولا يترك رحمة الله تنزل على عباده ويغلق الباب خلفه وهو لا يعلم أن ثمة باب من الجحيم قد انفتح على البلد ولن يستطيع هو ولا غيره أن يغلقه.. ويقف عبد الجبار مرتعداً أمام الباشا بينما تسافر ذاكرته إلى 1990 فى قريته الصغيرة بالصعيد

كان والد عبد الجبار جالسا في حقله ممسكا بناي يعزف عليه لحنا شجيا ، وكان عبد الجبار صبيا يلهو مع أقرانه بعد أن فرغ من تناول الغذاء مع والده، بينما أتى من الجانب الآخر رهط من الرجال قاصدين "مظلوم" الذي لم يعرف أبدا لماذا سمته أمه بهذا الاسم ، وكان مظلوم كالقيلة التي يقصدها كل محتاج وذو مظلمة في البلد، ولم لا وهو المناضل القديم الذي عاش شبابه المبكر مقربا من نجيب سرور وشهيد عطية ورؤساء الحركة الشيوعية في مصر في فترة الستينات. وينادى عليه أكبرهم سنا:

- السلام عليكم يا أبو عبد الجبار

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. اتفضلوا يا رجاله

وجلس الرجال ليبنوا مظلوم شكواهم من العمدة المفترى الذي يأتمر بأمر مأمور المركز وباشاوات مصر واستمع لهم باهتمام وعلامات الأسى تملا وجهه الأسمر.. ثم قال:

- أنا قلت مرة لا بد نسيب خناق بعض شويه ونمسك في خناق الظلمة وناخذ تارنا منهم لكن محدش سمع كلامي

وهنا هتف أحد الرجال:

- خناق مين يا مظلوم ؟ إحنا قدهم

- لو نظمنا نفسنا وحددنا مطالبنا واحد اثنين تلاته هنكون قدهم ونص، دلوقتي الأرض بتاعة قناوي وعبد الرحمن هياخدوها وتدخل كردون مباني لأن الباشا اللواء عايز يعمل فوقها مدرسة وإحنا عارفين انه بعد ما طلع معاش عايز يدخل الانتخابات بتاعة مجلس الشعب وعايز يبني المدرسة على أرض مش بتاعته بفلوس حرام أخذها من الرشاوى.. يعنى من دقنه وافتل له.. لازم كلنا نتحد ونواجهه هو عنده خمسين فدان في بلدنا لو عايز يعمل مدرسه يعملها على أرضه ..

- أنت في دماغك حاجه يا مظلوم ؟

- أيوه يا عم محمدين أنا عندي خطة.. اسمعوا يا جماعه

ويشرح مظلوم خطته لمواجهة مخطط الضابط وعصابته والرجال يستمعون في اهتمام ويحدث محمدين نفسه قائلا:

- يا سلام على كلامك يا مظلوم طول عمرك حديثك مزوج ومترتب بتعرف تتكلم بجذ"... ومن بعيد كان عبد الجبار يلهو مع أقرانه وينافسهم في العوم ويسبقهم وخلفه رفيقيه "الزعيم" و "ورداني" وهما يتندران على جسد عبده اللي زى الطور ومن لسانه الذي لا يستخدمه ربع ما يستخدم ايديه المرزبات.. ويضحك الزعيم قائلا " هو بيعرف يتكلم أصلا؟"... فيرد ورداني:

- على رأيك رغم إن أبوه كلامنجي إنما إيه!!!!!!

وجد عبد الجبار نفسه في مواجهة "عبد القوى" باشا لأول مرة منذ ضربه بالقلم على وجهه يخمد عبد الجبار سيف جبروته فكل مفترى له مفترى أقوى يلمه، يقول عبد القوى بدون أن ينظر تجاهه:

- الجرائد المعارضة كلها كاتبه عن عسكري في الأمن المركزي يشيع الرعب فى الشارع وناشره صورك نقلا عن النيويورك تايمز واعترافات فى رسائل تدين أجهزة الأمن فى تلفيق قضايا وتزوير وهناك عرض.. احم احم.. الحقيقة إن فيها حاجات تم ارتكابها فى معسكرنا هنا.. قصدي يعنى.. بيدعوا إنها حصلت هنا.. ويلوح شبح ابتسامه تشفى على وجه عبد الجبار ثم يتدارك الأمر بسرعة وينظر فى عيني عبد القوى باشا ويهز كتفيه وكأنه لا يعلم.. فيقول الباشا فى غضب عارم:

- الرسائل دى موقعة باسمك؟

- عبد الجبار مظلوم يا فندم؟..

- لا التانى.. اسم الشهرة، اللقب بتاعك عسكري الدرك..

يرتجف عبد الجبار متهتها :

- العساكر ك.. كثير يا باشا وبعدين أنا مم مقدرش اعمل حاجة زى كده يا فندم

وهنا هب عبد القوى واقفا ودار حول عبد الجبار الذي تحول لونه الأسود الى صفار يميل إلى الزرقة وكأنه

جثه واقفة على قدمين.. وهمس مهددا :

- لو تأكدنا انه أنت مش هنرحمك ثم يضربه على قفاه أنت عارف هنعمل فيك إيه وهنوديك فيين يا ابن

ال..... وانهاالت الإهانات والركلات واللكمات على عبد الجبار وهو لا يجد على لسانه إلا كلمات متلعثمة

- مش أنا يا باشا .. مش أنا يا فندم

وبعد أن تعب عبد القوى من الضرب طرد عبد الجبار من مكتبه.. ثم استدعى عسكري آخر وطلب منه مراقبة

عبد الجبار سكناته وحركاته وموافاته بتقارير عما يلاحظه

أما عبد الجبار فقد انتابته رعشه في جسده كله وشعر بدقات قلبه تتزايد وبجسده يبرد فاندفع بكامل قوته إلى

مطبخ المعسكر وضرب الطباخ ثم فتح الثلاجة والتهم معظم ما كان فيها مما أثار خوف وذهول الطباخ..

وبعد أن امتلأت معدة عبد الجبار بدأ رعبه يزول تدريجيا ليبقى بداخله مرارة الذل وعار الإهانة.. وكان

بداخله يعرف أنه لن يقدر على مواجهة عبد القوى ولو فعل لكان هو الخاسر الوحيد فهو مجرد عسكري

حقير.. كما أنه يفك الخط بالعافية فكيف يكتب تقارير ويرسلها إلى صحف أجنبية صحيح أنه يشعر بالفخر وهو

يرى صورته تزين الجرائد بالرغم من أنه لا يفهم الكلام المكتوب تحتها إلا أنه لا يملك الجرأة ليراسل

جريدة أو مجلة بل إنه أصلا لم يكتب خطابا في حياته.. شعر بالذل وبالغضب وقلة الحيلة وفجأة تذكر انتصار

الفتاة الجميلة ابنة المستشار التي تم اختطافها من مظاهره في وسط البلد واحتجازها في المعسكر والتي اعتاد

الرائد علاء ضابط أمن الدولة الذى يأتي للتحقيق مع المحتجزين التحرش بها وعندما كان عبد الجبار يحاول

مغازلتها كانت تبصق في وجهه.. اقتحم عبد الجبار الغرفة التي يحتجزونها فيها وكعادته لم يتحدث بل استخدم

يده وسلاحه بعد أن حشا فمها بمنديله حتى لا تصرخ..

فى أحد أيام يوليو وداخل شقة سكنية بأحد الأبراج بحى فيصل اجتمع عدد من ضباط الجيش والشرطة، يبدو على وجوههم الغضب والإحباط، وبدا على وجه أكثر من واحد منهم ميلا للزعامة وإعجابا شديدا بالنفس، يبدو انه اجتماع هام للغاية وبدأ الحديث رائد الجيش ناجى الذى يبدو أنه زعيمهم :

- لقد جمعتم اليوم بعد أن تأكدت أنكم من أفضل عناصر الجيش والشرطة وبعد أن قام كل منكم بإثبات انتمائه للوطن، ولقد رأيت فيكم النعمة على الأوضاع التي آلت إليها مصر في العهد الحالي من فساد ورشوة ومحسوبية وغلاء، لقد رأيت كيف قامت الحكومة منذ أيام برفع أسعار البنزين والاسولار وكيف ارتفعت أسعار تذاكر المترو

يرد عصام نقيب فى الأمن المركزى:

- هو المترو بس؟ المترو والميكروباص والتاكسيات والعيش بس احنا ايه دخلنا بده انا عن نفسى عربية الشغل بتودينى وتجيبينى أدخل فى المفيد يا ناجى بيه يرمقه ناجى بحده قائلا:

- وفي الوقت الذي تشن فيه إسرائيل حربا فيه على فلسطين ولبنان وقد نجحت بالأمس في التوغل في الجنوب اللبناني، سكت نظامنا الجبان واكتفى بإدانة نصر الله لقد التحقت بالحربية لأحارب في سبيل وطني ورفعته، ولكنني اشعر الآن أنني وزملائي في الجيش المصري قد أصبحنا كما مهملا نأخذ مرتباتنا لقاء التمرينات التي نقوم بها ونظلم قابعين في التكنات والخنادق الى أن تظهر أى بادرة تحرك من الشعب أو حتى من فئة من فئاته يخرجونا لقمعهم يقول علاء "رائد شرطة":

- زى اللى حصل من جنود الأمن المركزي في الثمانينات يجيبه ناجى:

- أيوه ووقتها بس يمارس الجيش وظيفته التي أرادها المستبد.. ينزل الشارع ويقمع أى انتفاضة للشعب ثم يعود إلى تكناته

ويرد عصام" نقيب أمن مركزي" :

- مش الجيش لوحده ، شوف الأمن المركزي بقت وظيفته محاربة المتظاهرين وقمعهم بقينا قطاع طرق وهاتكي أعراض عمرى ما هانسى اللى حصل في المظاهرة التي تمت في وسط البلد بعد نتائج انتخابات الرئاسة بقليل ده انا شفتهم ببسحلو أعضاء حركة كفاية في الشوارع شفت عسكري بيتحرش بست في عمر أمي .. ويصمت لحظة يختلس خلالها النظر الى علاء ثم يقول:

- تخيلوا ان واحد من ضباط أمن الدولة أمرني بجلب إحدى المتظاهرات إلى مكتبه لأنها عجبتة وعندما رفضت بص لى بصة عمرى ما هانساها وفضلت بعدها بعشر شهور أعانى من شروره ومضايقاته لغاية ما انتقلت الصعيد. يا زملائي الأعزاء أنا مش بأدعى أنى ملاك ده حتى المنصب ياما خدعنى وغرتنى البدلة الميرى وكنت مغرور لغاية ما اكتشفت أن الجهاز الامنى في مصر ليس قمعيا فقط ضد المعارضة لكنه جهاز يقمع بعضه بعضا.

يأخذ ناجى نفسا عميقا ثم يستطرد

- اخوانى لقد طفح الكيل واستبد الغضب واليأس بالجميع وما نحن إلا نبتة من تراب هذا الوطن و....واصل ناجى خطبته المؤثرة بينما جلس "عبد الجبار" في احد الأركان وعلى وجهه ابتسامة ، لقد كان يعلم في قرارة نفسه أن ناجى صادق تماما فيما يقوله وأنه مؤمن بكل حرف يردده ولكن من الذين التقوا حوله؟ هذا الرائد

علاء صاحب الشقة التي يعقد فيها الضباط اجتماعهم، ضابط الشرطة الذي هتك عرض انتصار في معسكر الأمن المركزي حيث كانوا يحتجزونها. أليس هو الذئب الذي ألهم عبد الجبار باغتصابها؟ هل استيقظ ضميره فجأة؟ أم انه يسعى لطموح أكبر من خلال الحركة الجديدة؟ قطع علاء حبل أفكاره مناديا:

- اعمل لنا شاي يا عبد الجبار

أسرع عبد الجبار الى المطبخ وهو يتعجب من محمود بك بتاع البنات الذي دخل الهوجة بعد ما اتصاحب على بنت من حركة كفاية اسمها ولاء البنت ملهش في الوطنية ولا التغيير هي بس دخلت الحركة عشان تجيب عريس ولأن كل شباب كفاية هارشينها محدش بصلها غير الضابط الخايب اللي اسمه محمود واللى بقى بيزايد على بتوع كفاية عشان يعجب المزه.

ولا عصام نقيب الأمن المركزي هو كويس وجدع وايدو فرطه بيدينى كل ما يقابلني لكن أنا مش فاهم ازاي واحد قرعه زيه ولايس نظارة قعر كباية يبقى ضابط ولا يدخل الشرطة أساسا، الحكاية وما فيها إن أبوه لوا وطبعا لو ابن اللوا ميقاش ظابط البلد هتخرب. وراح يتذكر عبد الجبار كيف تمت مجازاته وضربه لمجرد اشتباه القيادات انه أرسل بملفات تحوى تجاوزات الشرطة الى صحف المعارضة، بينما لم تتحرك تلك القيادات بعد أن ضبطه رائد علاء في غرفة الاحتجاز مع انتصار بعد أن كان قد فرغ من اغتصابها للتو وكل ما حدث هو أن علاء بيه تفاجأ ثم ضحك قاتلا لزميله: اشمعنى هو أهو طباخ السم بيدوقه وبعدها كلما كان يحلو لعلاء بيه أن يفترس انتصار كان يصحب معه عبد الجبار ليسجل بالكاميرا تلك اللحظات وكان علاء بيه يبرر تصرفه دائما بأن هذه الصور ستبقى المزه تحت التصرف حتى بعد خروجها من المعتقل. وسأل عبد الجبار نفسه : هما دول اللي هيجرروا البلد م الفساد؟؟صحيح أنا كمان مجرم زيههم ومسمى نفسي عسكري الدرك رغم انى عارف إن أنا حراميهما لكن مش بادعى انى اسمه إيه ده المنتظر اللي هينضف الكون.. ويصب عبد الجبار الشاي في الأكواب ويتجه إلى غرفة الجلوس ليجد الضباط قد انتقلوا برابطة المعلم إلى مائدة الطعام الخالية إلا من مصحف في منتصفها ويسمع صوت الرائد ناجى:

- لنتعاهد سويا على مبادئ الحق والخير والمساواة من أجل الله والوطن، لنتعاهد على الكتمان والسرية حتى تقوى جماعتنا ويشد عودها ويأتي وقت النضال.. لنضع أيدينا على المصحف ونتعهد بالإخلاص لجماعتنا الإصلاحية..

ضباط من أجل التغيير..

وترتعد الصينية في يد عبد الجبار ويدخل في روعه أن شيئا كبيرا سيحدث ولكنه لم يتوقع

خييرا..

خرجت انتصار من الاحتجاز فى أحد معسكرات الأمن المركزي إلى لاطوغلى حيث بقيت ثلاثة أيام أسود من ليالى الشتاء ثم أطلقوا سراحها ، أخذوها فى نفس السيارة التى اختطفت فيها ثم ألقوا بها إلى قارعة الطريق وكان الوقت متأخرا للغاية ولم تدر أين تذهب هل تذهب لأمها؟ ترى كيف تحملت أيام الغياب وما الذى حدث لها؟ ترى هل علم والدها بغيابها وارتعدت لمجرد احتمال ان يكون علم بغيابها تلك الأيام السبعة. نظرت انتصار الى السماء ثم اختنقت بالدموع وفتحت حقيبة يدها التى تقطعت فى أيديهم أثناء التفتيش وبالطبع لم تجد النقود لكنها وجدت مفاتيحها وكان بينها مفتاح شقة خالها والتي كانت تذهب اليها كلما أحست بالقهر ولأن الوقت كان قد تجاوز منتصف الليل رأت انتصار أن لامكان لديها إلا تلك الشقة وذهبت متجاوزة مضايقات

أطفال الشوارع وراكبي السيارات الفارحة ونظرات البواب وشهقات زوجته عندما رأوها وقد تمزقت ملابسها وازرق وجهها وما ظهر من جسدها وطار حجابها من فوق رأسها وظهر شعرها أشعث وامتزق مثل روحها وجسدها وفتحت باب الشقة ثم دخلت وصدفت الباب خلفها. وخلف الباب افتششت الأرض ونامت عشرين ساعات متواصلة واستيقظت لتجبر نفسها على النوم مرة أخرى وعندما استيقظت بعد خمس ساعات اتجهت بجسد متقل إلى أقرب مرآة لتشبح بوجهها على الفور والدموع في عينيها كانت تلك أول مرة ترى فيها وجهها منذ أيام ولم تره في حياتها بهذا القبح وكأنها ترى في كل كدمة تفاصيل العذاب الذي لاقته والأهوال التي رأتها ، كأنها تسمع من جديد كل سبة وكل كلمة جارحة ، كأنها تشعر من جديد بكل الأنياب والأظافر التي نشبوا في جسدها المستباح. لقد نسيت شعور الخجل بعد أن مزقوا حجابها في سيارة الشرطة قبل وصولها الى مقر الاحتجاز ولكنها تتذكر جيدا الهلع والرعب وجسدها يتعري بين أغراب .. مازال البرد يلسعها فيصيب جسدها بالعرشة ويسلمها لحالة لا نهائية من الغثيان والدوار والضياع. لم يستجوبها أحد ولم يوجه لها اتهام ولم يحاولوا انتزاع أى اعتراف منها فقد حاكموها واتهموها وما كان الخطف إلا لتنفيذ الحكم الذى أصدره هؤلاء الذئاب .. لو أنهم فقط حققوا معها لكان عذابها قد هان ولكانت بررت لنفسها ما تحملته بأنه ثمن لرأيها وحريتها .. لطالما سألت نفسها قبل اختطافها هل ما فعله حبا للوطن أم سعيا وراء الشهرة أم تحد غير مباشر لقهري والدها لها ؟ أما بعد اختطافها كان هناك شعور واحد ترسب بداخلها وهو أنها كانت تستعرض جسدها فى ميدان المظاهرات حتى أعجبهم وأن ما فعلوه لم يكن إلا تجاوبا مع رغبتها المدفونة وردا على رسالتها غير المعلنة وأما المرآة وقفت تسأل نفسها:

- معقول؟ معقول أكون رخيصة كده؟ مش ممكن بس لو انا مش رخيصة ولو انا خطر فعلا على أمن

الدولة ولو أنا مناضلة حقيقية مش كانوا حتى استجوبونى على الأقل؟

كادت انتصار أن تفقد عقلها واتجهت إلى الغرفة الصغيرة والتي كانت تبين فيها وخالها على قيد الحياة والنقطة بذلة محتشمة كانت قد اشترتها بعد ارتدائها للحجاب - والحقيقة أن ملابسها كانت غالبا محتشمة أو تميل إلى الاحتشام حتى قبل الحجاب- ولكن البذلة نظيفة أما هي فلم تعد كذلك .. ترى أى ماء ذلك الذى سيظهر كل هذا الرجز؟ إنها تحتاج أن تغتسل فى الجحيم لعلها تتطهر وارتدت البذلة بدون استحمام وتناولت غطاء للرأس ووضعته بلا عناية فوق شعرها وغادرت ..

الفصل الثانی

هبطت هدى من التاكسى الذى كانت تستقله ونظرت إلى مقر نيابة أمن الدولة وهاجمتها ذكريات يوم الاستفتاء

المشئوم وما حدث لها ثم كيف أغلقت القضية دون الوصول إلى الجناة رغم أنهم كانوا معلومين للجميع وكيف

تلوثت سمعتها وكادت تبقى بدون زواج إلى الأبد لولا أن تقدم لها أحد زملائها فى قسم الإعلانات فتزوجته

رغم كل تحفظاتها عليه لتعيش حياة أقرب للجحيم وها هى الآن تقف أمام مكتب عماد الذى أصبح وكيلًا لنيابة

أمن الدولة فى صيف 2006 وطلبت من العسكري الواقف على باب المكتب الدخول:

- أنا عندي ميعاد مع عماد بك، بلغه إن الصحفية هدى قدرى من جريدة الرأى فى انتظاره

و يرد العسكري بحماس واحترام:

- سيادته سايب خبر يا افندم .. اتفضلي

وتنظر هدى خلفها فى فزع شاعرة بأن يدا ما تنتهكها من الخلف ثم تدرك أنها تهيؤات كالعادة .. تهيؤات

تقتحمها منذ اليوم المشئوم عندما انتهكها الأمن فى الشارع و دخلت هدى ليقف عماد وفى عينيه إعجاب قديم

يتجدد ، يمد يده مصافحا فتمد يدها ليأخذها ويلثمها قائلاً:

- آخر مرة شفتك كان من سنة تقريبا.. تضحك فى دلال وتقول:

- انت لسه فاكر يا عماد بك

- هو اللي فى جمالك تنتسى؟ الشعر الأصفر والعيون الخضرا والـ .. إحم

تبتسم ولا ترد فيبادرها بالسؤال عن زميلها المصور:

- زميلك المصور عامل إيه دلوقت؟

- محمد؟ الحمد لله ساب المستشفى تسكت برهة وتتنظر فى عيني عماد قائلة:

- وساب الجريدة برضه

- راح جريدة ثانية؟

- لا اشتغل مصور فنانات.. رقاصات بمعنى أدق

ينظر لها عماد فى دهشة فتجاوبه قبل أن يسأل:

- الحقيقة محمد شاف إن شغل الصحافة مش جايب همه غير إن الرقاصات هيعرفوا يحموه كويس ويجيبوله

حقه لو حد اعتدى عليه واهى ماشية معاه اشترى شقه صغيرة وعربية يعنى..

- وانتى يا هدى؟

- أنا اتجوزت من شهرين وحصلت أخيرا على عضوية النقابة وجاية دلوقت بتكليف من رئيس قسم الحوادث

عشان اعمل مع حضرتك ريبورتاج عن أطرف الجرائم اللي قابلتك فى تاريخك المهني وبلهجة ساخرة تكمل:

- باعتبارك واحد من أنزه رجال النيابة فى مصر.. تصله سخريتها لكنها لا تؤلمه.. نعم لقد أقفل القضية

الخاصة بهتك عرض الصحفيات فى الشوارع يوم الاستفتاء وقيدها ضد مجهول لكنه نال أكثر مما كان يحلم

وتم نقله الى نيابة أمن الدولة ونال ورضا قياداته عنه.. ولو لم يوافق على أوامرهم كانوا سيعاقبونه وسيأتي

من بعده من يتنازل ويقبض الثمن..لم ينس إلى الآن تفاصيل الاتصال الهاتفى الذى جاءه من قيادة كبرى فى

وزارة العدل تأمرة بإغلاق ملف قضية التحرش العنى بصحفيات وناشطات فى يوم الاستفتاء مقابل ترقية لا يحلم بها وعندما حاول الاعتراض هددته المسئول بمجازاته ونقله الى آخر الدنيا ولم يتردد عماد كثيرا فى نفس اليوم كان قد حسم رأيه وفى أقل من شهر كان قد نقل الى نيابة أمن الدولة بيتسم فى مرارة قائلا فى سره :

- هى دى مصر يا هدى!!! وسألته هدى عن الكاتب الذى كان معه منذ عام فيقول دون أن يرفع عينيه إليها:
- اتفصل .. ضبطوه بياخد عشرين جنيه رشوه ففصلوه.. وتصمت هدى فى ذهول.. ثم تعلق: - هى كده دائما اللي بيسرق لقمة هو اللي بيتمسك، واللى بيسرق طابونة العيش كلها بيقلت بالفرن واللى فيه وتكمل فى سرها:

- وبيترقى كمان

ينظر إليها فى غضب فتغير الموضوع وتشغل جهاز التسجيل وتبدأ العمل

..في صيف 1993 وفي كفر المساطيل في الصعيد في منزل عبد الجبار كان والده "مظلوم" في غرفة نومه يرتدى جلبابه الأبيض ويستعد للخروج، بينما كانت "ستهم" أم عبد الجبار تتوح وتلطم خديها بعد فشل محاولاتها لإثاء زوجها عن الخروج الى مشواره، وهدأ مظلوم من روعها قائلاً:

- يا ستهم "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا" وبعدين هو أنا رايج أحارب يا وليه؟

- حرام عليك يا مظلوم.. إحنا عايزينك يا اخويا .. عبد الجبار لساه صغار

- عبد الجبار راجل من ظهر راجل.. أنا عايزه لما يكبر يتباهى بأبوه .. سيبيني بجى عشان ألحج الناس اللي مستنظرين في الغيط

ويندفع مظلوم الى غيط "عنتر" الذي يريد المأمور وضع يده عليه بحجة أنه "مش ملك حد"، وذلك بعد أن أعلن عنتر المسكين أن هناك دفينة "قبرا فرعونيا" تحت غيطه وبالطبع لم يصدق أحد من البلد أو لان البلد بأكملها لا يوجد بها دفينة واحدة والكثير حاولوا ولم يعثروا على اى شيء، وثانياً لأن عنتر المسكين كلامه كله نزع وفسر فهو أفقر وأقبح واضعف خلق الله مما كان يدفعه لاختلاق الكذبة تلو الأخرى لكي يلفت الأنظار. ولسوء حظه سمعه "أبو شناف" شيخ الغفر في القرية الذي كان مكلفا بحماية البلد والزرايب في فترة الليل والمعروف بتحالفه مع اللصوص والحكومة على حد سواء، وبالطبع كان أبو شناف غريباً عن البلد بلا أرض ولا جاه وكان يأمل أن المأمور عندما يستولى على قيراطين الأرض بتوع عنتر ويكتشف أنه ليس بها كنز ولا يحزنون فسوف يبيعهها بثمن زهيد وبهذا يشتريها أبو شناف بسعر رخيص ويذل أهل القرية الذين رفضوا أن يبيعوا لابو شناف قيراط أرض واحد.

وصل مظلوم بملامحه الطيبة وقامته المفرودة إلى غيط عنتر ليرى عساكر الأمن المركزي تحاصر الغيط وتهدم عشة عنتر الذي انخرط في البكاء وراح يحط من طين الأرض على رأسه وهو يصرخ:

- وشرف أمي يا سيد بيه الأرض مفيهاش مساخيط، أنى كنت بافشر يا باشا، الأرض مفيهاش مساخيط غيري

يا باشا، أنى المسخوط الوحيد الى فيها يا باشا.. خدونى وسيبوا الأرض يا عالم.. غيتونى يا هووه

ويميل "سيد" بيه - المأمور - على قائد قوة تنفيذ الأحكام وعلى وجهه ابتسامة صفراء بغیضة قائلاً:

- الواد ده أصله مجنون يا باشا والبلد كلها عارفة مش كده يا عمدة؟ يرتجف العمدة "عبد الملك" وينظر بشفقه

على الفلاح المكلم ثم يشيح بوجهه وهو يقول :- ايوه يا باشا ده مجنون ابن مجنون. ويقول المأمور وهو

ينظر في ساعته:

- عموماً أنا كلمت اللي هيعقلوه وزمانهم جايبين.. في نفس اللحظة ينجح مظلوم في اختراق الحاجز الامنى

ويهتف بأعلى صوته:

- هو اللي يدافع عن حقه في البلد دى يبقى مجنون يا سعادة المأمور؟

يرتعد المأمور قليلاً ثم يتذكر أنه محاط بقوات الأمن التي ستحميه من أى اعتداء فيتقدم نصف خطوة ويحاول

رفع صوته بقوة:

- ايه اللي جابك الساعة دى يا مظلوم ؟ متدخلش في اللي ميخصكش

- اللي بيحصل لعنتر يخصني ويخص كل نفر في البلد دى.. اللي بياخدوا أرضه النهار ده بدون وجه حق

مممكن بكره ياخدوا أرضى أو أرض اى حد تانى.. اتقى الله يا سيد بيه النجوم اللي على أكتافك اللي انت

وربتهالنا في عز الظهر مش هتفعلك يوم العرض عليه

- بقى انت يا شيوعي بتفكرنى بربنا؟

ينظر مظلوم للناس لأهل القرية ويصرخ فيهم:

- يا أهل بلدي أرض عنتر عرضه وعرضه عرضكم.. هتسيبوا المأمور يهتك عرضكو؟
وتتدفع صيحات الغضب من أفواه أهل القرية المسلحين بالشوم ويتجهون نحو قوات الأمن في غضب عيونهم
تلمع بالإصرار وأذرعهم السمراء ترتفع بالشوم.. لونهم كلون طمي النيل.. واندفاعهم كتدفقه في الفيضان..
ومن بعيد وقف عبد الجبار الصامت دائما وعيونه تكاد تنطق فخرا بوالده الشجاع.. ويهزه الزعيم قائلا: أبوك
ده ولا شجيع السيميا يا عبد الجبار.. وينتظر الصبية الموقعة الكبرى ولكن تأتي اللحظة غير المنتظرة..
لحظة يبدو أن الزمن قد توقف فيها لحظات.. تجمدت الأذرع السمراء على الشوم انطفت شمس الإصرار في
العيون.. وسكنها ليل الخوف عندما هبط من سيارتي الأمن المركزي عشرات الجنود فيما يشبه جيشا صغيرا
انضم إلى الجنود الذين كانوا يحاصرون أرض عنتر، في نفس اللحظة التي اخترقت سيارة بيضاء الجموع
متجهة نحو المكان ونزل منها طبيب ورجلان شديدان ومعهما ما يشبه الملاء البيضاء وأشار لهما المأمور
إلى حيث انبطح عنتر أرضا.. وكان مظلوم هو أول من أدرك الموقف فصرخ في الناس:

- يا ناس.. يا أهل بلدي اجمدوا الى يحارب عشره يحارب عشرين.. الباشا جايب الدكتور عشان ياخدوا
عنتر على مستشفى المجانين.. ده إحنا منبقاش رجاله لو أخذوه من وسطنا ويرفع زكى شومته ويهوش بها
يمينا ويسارا لإبعاد رسل العباسية عن عنتر المسكين ولكن العمدة يضربه على ذراعه فوقعت الشومة من يده
وعندما هم بالتقاطها اخرج المأمور مسدسه من خلف ظهره وراح يطلق الرصاص في الهواء وأمر قائد قوة
تنفيذ الأحكام الجنود أن يضربوا في المليان إذا اقترب احدهم من الأرض أو من المأمور، ويقترب أبو شناف
ببطء من مظلوم الذي وقف من جديد على قدميه وراح يركض باتجاه عنتر الذي كف عن البكاء وصار
كالطفل بين يدي من حملوه من تأثير المهدئ الذي حقنوه به ولكن عيناه ظلت مدهولتان خائفتان ويده
ضارعتان تتادبان مظلوم الذي حاول اللحاق به دون أن يستطيع ونادى على الناس أن يثبتوا ولكنهم كانوا قد
تفرقوا بالفعل فلم يعد هناك أحد سواه في داخل الدائرة الأمنية الجهنمية وينظر أبو شناف الى المأمور وكأنه
يأخذ منه إذنا بعمل شيء ما وعندما أخذ الإشارة هتف بأعلى صوته:

- الحقنى يا باشا مظلوم معاه مسدس.. ويستدير عساكر الأمن المركزي ليواجهوا خطر مظلوم الأعزل بطلقات
الرشاشات وتتدفع الدماء خارج مظلوم وكأنها تنور في وجهه من غدروا به، ويسقط مظلوم ببطء وعيناه
مثبتتان على وجه " عبد الجبار" الذي اكتسى وجهه بذهول ظل مرسوما على وجهه شهورا طويلة وبنظرة
أخرى لا يمكن أن يرمى بها ولدا والده الذي يحتضر..
لقد كانت نظرة لوما وعتابا.. عتاب ظل في داخله طيلة حياته وشعور أن والده قد عشمه وخلي به.. إن والده
ركب فرس البطولة وهو غير جدير به.. لقد كان يفخر بوالده كثيرا وها هو والده يسقط جثه في الوحل أمام
أهل البلد جميعا.. أهل البلد الذي مات من أجلهم.. أهل البلد الذين تخلوا عنه وتركوه يواجه الموت وحده..
من اليوم صار أهل البلد أعداءه.. وفي داخله ترددت كلمة واحده:- يا ويلكم منى يا أهل كفر المساطيل.

فى 24-07-2006 وفى حوش ليمان طرة - حيث تم نقل عبد الجبار لمهمة محددة وهى مراقبة أحد
المعتقلين عن كذب وانتظار الأمر بتصفيته- جلست مجموعة من شباب المعتقلين فى حوش اليمان يتناقشون
فى الأمور السياسية ويلقون بالدعابات بين الحين والآخر، وهم: "عادل" المهندس اليسارى الذى ينتمى إلى
أسرة متوسطة تعيش فى امبابه، مثقف جدا ومتفانى فى سبيل مبادئه لأبعد الحدود، وسامى عضو حركة
الإخوان المحظورة، ابن الوجه البحرى الذى جاء ليشارك فى إحدى مظاهرات كفاية فتم اعتقاله، ومعهم

جلس وائل الصحفى الليبرالى الذى تمت محاكمته بسبب مقالة كتبها عن الظلم والديكتاتورية اعتبرها النظام إهانته له، وإلى جوارهم جلس "النمنم" شاب نصف أمى مرح لا يمل الدعايات قرر الاستفادة من الأندية المتعلمين والسير فى ركابهم أملا فى أن يخرج من طرة بطلا بعد أن دخله لصا، والغريب أنه لم يتم القبض عليه وهو يسرق بل لأنه كان يراقب فى إعجاب أعضاء حركة كفاية المشاركين فى إحدى المظاهرات وكانت تلك أول مرة يرى فيها النمنم مظاهرة و اعتقد العسكر أنه مع كفاية فاعتقلوه معهم. وكان النمنم دائما يتندر بين زملاء المعتقل:

- أنا من يوم ما اتولدت وأنا باسرق مفيش مرة اتعملى محضر ولا اتاخذت تحرى قوم لما أقف فى مظاهرة لأول مرة فى حياتى وعشان اتفرج مش عشان اتظاهر قوم يعتقلونى؟ طب وحياة من خلق العالم دول بالغباوة دى كلها لاكون معارضهم من هنا ليوم القيامة كرامة لمخهم الضلم. ويضحك عادل قائلا:

- انت ايه اللي رماك ع السرقة يا نمنم؟ يتهد نمنم ويتحسس شعره الذى أطاله ليقترّب من كتفه قائلا:
- يعنى يا باشمهندز عادل واحد أبوه جه م العراق جثه فى صندوق بعد سنين غربه ويا ريتته جه ومعاه حاجه إلا يا مولاي كما خلقتنى، وامى عرفت السكة، اللقمة اللى هيجيبها الحلال مش هتسبع عيالها باعت نفسها بعقد عرفى لواحد عجوز من الخليج على أمل انه يتكفل بيا وباخوانى خداه على بلده قعدت معاها سنتين مشافتناش ولما نزلت بمعجزة ومعاها ميتين دولار ماتت تانى يوم فى فرشتها. واحد زىي كان هيطلع ايه يعنى..عالم ذرة؟

ويشارك سامى فى الحوار قائلا:

- احنا لازم ان شاء الله نعمل قعدة طويلة كل واحد فينا يتكلم فيها عن حياته وعن اللى رماه على المعتقل.
وينضم الشاعر الشاب على إلى الجلسة ويشاغبه وائل قائلا:
- أهلا بشاعر البادية..يا ترى مين آخر ملهمة كتبت فيها شعر فى زنانة الأوس؟
تتحنح على قائلا:

- الحقيقة هو ملهم مش ملهمة؟.. ويضحك الجميع متسائلين من هو فيجيب:

- هتعرفوه لما تسمعوا آخر كتاباتى.. اسمعوا..

يا عسكرى الدرك أفز عنى منظرى.. ويضحك الجميع ليواصل على:

يا عسكرى الحكومة بينك وبينى تار

دم البلد والنيل والأرض والثوار

.. وتحتبس الكلمات فى حلق "على" عندما يلمح الجمود الذى أصاب أعين زملائه والتي تصلبت جميعها خلف ظهره ويستدير على ليرى وجه عبد الجبار الدميم ثم فقد وعيه إثر لكمة قوية فى وجهه قبل أن يتم اصطحابه إلى زنانة التأديب أو ما يعرف بالحبس الانفرادى.

ويقول النمنم:

- انتو مش ملاحظين يا جماعة إن الجدع اللى اسمه عبد الجبار مبيتكلمش خالص .. أنا كنت فاكره اخرس لولا انى سمعته بيشتم واحد من الجدعان المعتقلين الجدد.

يرد عليه عادل:

- الشىء اللى محيرنى ايه اللى يخلى عبد الجبار واللى زيه يكونوا بالقسوة دى رغم ان المفروض انهم غلابه ومطحونين ومن الشعب الغلبان.. ويرد سامى الاخوانى:

- اللى معندوش دين يعمل أكثر من كده.. أنا عمرى ما شففته بيصلى

وهنا يقول عادل في لهجه ساخرة:

- هل تعتقد يا شيخ سامى أن المدعو أبو لهب-عفوا- عبد الجبار ملحد؟ ودون أن ينتظر الإجابة يكمل فى سخرية:

- ما تدعيه يا بركة يمكن ربنا يهديه ويشهر إسلامه.. ويرفع سامى اصبعه محذرا:
- يا أخ عادل أنا قبل كده حذرتك من أسلوب الاستهزاء ده أنا مبسخرش من مبدأك يا أخى عشان انت كل شويه تسخر منى ومن مبادئى.. رغم ان مبادئك مغلوبة وبعيدة عن روح الدين.. ويضحك عادل مستنكرا:
- هو انت عندك مبادئ بجد يا سامى؟.. وقبل أن يرد الاخواتى الشاب الذى احمر وجهه وراح يرغى ويزيد قام نمم باصطحابه بعيدا بحجة الاستفسار عن بعض الأشياء الشرعية وذلك حتى يمنع صداما محتوما بين الناشط اليسارى وعضو الحركة المحظورة. وتنتهى الفسحة ليعود المعتقلين إلى زنازينهم. وفى الزنزانة يسأل النمم سامى :

- قول لى يا شيخ سامى هو السلام على المسيحيين باليد حرام؟

فيجيبه سامى بلهجة الخبير:

- لا.. لكنه مكروه ويجب أن يبدأ هو بالسلام وخذ بالك يا نمم أن السلام على مسيحي ينقض الوضوء.. وهنا يمتعض وائل بشدة ويقول بانفعال:
- أنا قرأت فقه السنة بكامل أجزائه ولم يرد فيه أن السلام على المسيحي يعتبر من نواقض الوضوء.. وهنا يثور سامى هاتفا:

- يعنى انت هتعرف أكثر منى؟ ويهم وائل بالرد عليه لولا أنهم يسمعون أصوات العسكر خارج الزنزانة فبصمت الجميع

جلس عبد الجبار وعلامات الضيق مرتسمة على وجهه، لقد كان الكثير من الغضب والحنق يملأ صدره تجاه "على" إنه لا يدري لماذا يسخر هذا الخنفس منه؟ ثم ما نوع الثأر الذى تحدث عنه ؟
-هياخذ تاره منى آتى؟ طب ما ياخده من علاء بيه الظابط اللى عمل فلوس كثير ولا من صاحبه عماد بيه وكيل النيابة؟ لكن ياخذ تاره منى انى؟ انى عبد المامور اضرب يا عبد الجبار أضرب، صور انتصار وكتفها على ما اخلص أنفذ. ذنبى انى ايه؟
وفى داخله المريض يتيقن عبد الجبار ان على لا يختلف عن أهل القرية الذين باعوا والده وتركوه يقتل أمام اعينهم..وسافر عبد الجبار فى احلامه بوعد علاء بيه له اذا نجحت الحركة بتاعة ضباط من اجل التغيير انه سيعينه السكرتير الخصوصى له..
- آه ماهو اللى زى علاء ده ممكن ينط على أى وزارة بسهولة لو عملوا جلبان ولا شجلبية لنظام الحكم ..أما تبقى البلية لعبت معاك يا عبد الجبار!..ويسمع عبد الجبار صوت على وهو يصرخ صرخة مكتومة حيث يبدو أنه اصطدم بإحدى حشرات الزنزانة..وفى داخله يضحك عبد الجبار: - أنى أول ما شفت الواد ده قلت انه خنفس حبيجى.. واد خرج صحيح.. كل بتوع الكلام كده خرعين بيجمعجوا ع الفاضى والناس العبط بيصدجوا ويمشوا وراهم والكلمنجيه الأعبط بيفتكروا ان الناس هتتفعهم لكن الناس الجبانة المنفوخين هوا ومشحونين كلام بيصيبوا الكلمنجيه يغرجوا اول ما ببيجى الطوفان، بس مش كل الكلمنجيه بيغرجوا يا واد يا عبد الجبار ما عمدة بلدكو كلمنجى ووعوده كدابه واهو فضل عمده لحد ما مات.. وتسافر ذاكرته مرة أخرى الى بلدته

فى أحد الايام بعد مقتل والده بشهور قليلة تلقى "عبد الجبار" دعوه شفاهيه من رجال القرية لحضور جلسه مهمة، وينظر عبد الجبار الى الزعيم زميله الذى أبلغه الرسالة ثم يهز رأسه ويسأل:
- عايزين ايه منى؟ يرد الزعيم:
- مخابرش لما تيجى هتعرف.. وهنا تتدخل ستهم هاتفة:
-انتو عايزين ايه م الواد مش كفاية ابوه.. حلوا عنا بجة كفاية مرار..وتطرد الزعيم من الدار.. ويبدأ الصراع داخل عبد الجبار هل يذهب؟ انه لا يطيق النظر إلى وجوههم الكنيبة، ولكن ماذا يضيره لو ذهب؟ من الممكن أن يذهب لينفجر فى وجوههم غضبا ليصارحهم بجنهم وان مفيهومش راجل.. فى النهاية يقرر ألا يذهب.. ويقرر أيضا ترك المدرسة.. سيراعى أرضه ويكسب حريته لقد كان يسير متعثرا فى دراسته حتى يرضى والده أما الآن فقد مات والده.. والده الذى خدعه وغرر به ثم تركه ورحل.. إن مظلوم الذى عشق القراءة والكتب جلب عليه العار والمرار.. ان مظلوم ضعيف وهو يريد أن يكون قويا مثل عبد الملك وابو شناف الذى حاز الان ارض عنتر واثان اخران من الفلاحين.. ويقطع حبل أفكاره دق على باب الدار يقوم ليفتح ليجد إمام زاوية الإخوان.. ان عبد الجبار يعرف انه من الاخوان وان كان لا يعلم على وجه الدقة ما الذى تعنيه كلمة الإخوان، يقول الامام:
- السلام عليكم ورحمة الله يا عبد الجبار
- وعليكم.. فيبتسم الشيخ قائلا:
- إذا حبيتم بتحية فردوا بمثلها أو بخير منها
و بدا على عبد الجبار عدم الفهم وعدم الاكتراث بالفهم فسأله الرجل:

- ممكن ادخل؟

افسح عبد الجبار الطريق له قائلاً في فتور:

- اتفضل

وجلسا في المضيضة ليخرج الشيخ من جيبه مبلغا من المال ويناول له اياه

- اتفضل يا عبد الجبار دول ميت جنيه يساعدوا ع المعاش يا ولدى

و تلمع عينا عبد الجبار ويقول في سره : ميت جنيه حته واحده؟

يأخذ عبد الجبار النقود ممتتا ثم يطلب الشاي للشيخ الذي عرض خدماته على عبد الجبار ويؤذن لصلاة

المغرب فيدعو الشيخ عبد الجبار إلى المسجد ليصلى جماعة:

- أصلى لمين يا شيخ؟.. فأجابه الشيخ باندهاش:

- لرينا يا ولدى

- طب روح أنت وأنا وراك على طول

وينصرف الشيخ إلى الجامع لكن عبد الجبار لم يذهب خلفه فمن اللحظة التي قتل فيها والده فقد إيمانه ليس

بوالده ولا بأهل قريته فقط لكنه فقد إيمانه بكل شيء لم يعد لديه شيء مقدس .. لو كان هناك إله عادل في

السماء لما حدث لوالده ما حدث ولما أخذوا أرض عنتر منه ولا ادخلوه السرايه الصفرا ظلما وعدوانا.. لمن

سأصلى؟ ويعطى عبد الجبار نصف المبلغ لأمه بينما يخبىء النصف الآخر معه.. وفرحت ستمم وقتها بما

اعتقدته عقلايينه من ولدها حيث ابتعد عن هذا الشيخ الذى قضى نصف عمره معتقلا دون أن تكلف نفسها

بإعادته إلى نفسه وإلى دينه.. لقد اعتبرت رفضه لدعوة الصلاة جماعة عقلا دون أن تترك أن ولدها رفض

الصلاة مع الإخوان كفرا برب الإخوان لم تترك المسكينة أن ولدها قد صار عبدا لإله آخر..

مر عامان على عبد الجبار وهو يعمل فى حقله الصغير، يتجنب أهل البلد ويتحاشى الصدام مع الأعيان،

وفى رحلة بحث عبد الجبار عن النقود باع كل كتب أبيه والتي لم يفاجأ أن سعرها لم يتجاوز عشرون جنيها،

لقد كان أبوه يتحدث عن الكتب وكأنها كنز وهو قد عرف أن والده كاذب منذ سقط مضرجا فى دمائه، ولأن

المثل الاعلى للصبى الصغير قد سقط ، فقد قرر البحث عن قوة أخرى ، وكان من أعاجيب الزمن أن تكون

قوة عبد الجبار ابن المناضل اليسارى بطل العصيان المدنى هو العسكرى المتجبر رمز القهر العسكرى..

وأتى زمن يقتدى فيه ابن القليل بقائل ابيه.. ترى هل يقع اللوم على أبو شناف خفير الحكومة؟ أم على مظلوم

الذى ضحى بنفسه من أجل حفنه من الجبناء؟ أم أن المشكله فى عبد الجبار نفسه وراجع له لخلل ما فى تفكيره؟

عندما قص على قصة تتلمذه على يد أبى شناف لم يطاوعنى قلبى أن القى باللوم على عاتقه، فكيف ألومه

على خلل فى تفكيره فى بلد اختلت فيه كل الموازين؟ كيف أقنعه أن أباه بطل وهو يحتفظ بالجريدة التى نشر

فيها خبر مصرع والده تحت عنوان "مقتل أحد الاشقياء فى مواجهات مع الأمن"، كيف أصارحه ان أبو

شناف هو الشيطان وهو يراه مستمتعا فى جنات مصر متربعا على عروشها، ففى كل قرية هناك أبو شناف ،

وفى كل مؤسسه هناك عبد الملك.

وفى أحد الأيام كان عبد الجبار يستريح قليلا من العمل فى الغيط، وبينما راح يقاتت بكسرة خبز و قطعته من

الجبن القديم لمح من بعيد عسكرى الدرك "أبو شناف" وارتجف عبد الجبار، إنه يعلم أن أبو شناف لا يحمل

فى قدميه إلا الخراب فأسرع يجرى باتجاهه ليصل اليه قبل أن يصل إلى حدود الغيط، ووقف عبد الجبار

ينظر إلى الخفير العملاق بمزيج من الرهبة والانبهار وفى داخله سؤال:

- بجى مكانش ده بييجى ابويا؟ ده مكانش حد فى البلد داسلى على طرف، ويربب أبو شناف على كتف عبد الجبار بيد من حديد قائلًا:

- والله أرضك حلوه يا واد .. وزرعتك تفرح بصحيح.. لما تبيع المحصول انا ليا النص.. وتجف الكلمات فى حلق عبد الجبار لقد جاء الدور على أرضه ولا يدري لماذا ترددت آخر كلمات والده فى أذنيه لحظتها؟

- يا اهل بلدى أرض عنتر عرضه وعرضه عرضكم.. هتسيبوا المأمور يهتك عرضكو؟
ولكن هذه المرة لم يكن المأمور ، انه ابو شناف، وعبد الجبار لا يستطيع ان يقول له لا ولكنه أيضا لا يقدر على التقوه بكلمة "موافق". لقد بلغ عبد الجبار الحلم وفى بلدته الصغيره لابد أن يمر الرجال بتجربة أولى لا مهرب منها والتجربة هى أن تقول نعم وقلبك يقول لا، أن تبتسم فى وجه الظالم والكراه والحزن يشوران بداخلك، تجربة كظم الغيظ. النظام كده فى البلد دى الراجل العاقل اللى عايز يعيش هو اللى يكظم غيظه، كظم الغيظ هو موضوع خطبة الجمعة التى يلقيها امام وزارة الاوقاف بعد كل مصيبة تحدث فى البلد، كظم الغيظ والعفو عند المقدرة هو عنوان وموضوع خطبه الجمعة التى تلت قتل والده بيوم واحد، تداعت كل هذه الأفكار فى ذهن الصبى وهو يهز رأسه بوهن هزة الموافقه موافقه من لا يوافق ولكنه لا يملك أن يقول لا ، ولم يدرك عبد الجبار يومها أن هذه ستكون الخطوة الأولى فى سلسلة موافقات وتنازلات لا حصر لها.. تنازلات فشلت أن تعلمه الغضب والثورة على من قهره ولكنها نجحت ببراعة فى تحويله إلى عباده القهر وتقديس الظالم حتى أهمل أرضه وكره فأسه وصار حلم حياته أن يكون مثل أبو شناف العسكرى القوى الغنى، إن عبد الجبار يعشق النقود ولقد تعلم أن القوة تاتي بالنقود: لو أنه قوى فإنه لن يضطر للعمل، سيترك الضعفاء يعملون ويكدون ثم يأخذ منهم ما يكفيه، سيذل من تخلوا عن أبيه ، وفى داخله تبلور القرار، لقد قرر عبد الجبار أن يبيع أرضه لأبو شناف على ان يكون غفيرا معه وبالفعل ذهب عبد الجبار إلى شيخ الخفر أو عسكرى الدرك كما كان يحلو لأبى شناف أن يسمى نفسه عارضا بيع الغيظ بالثمن الذى يحدده شيخ الغفر على أن يقبله معه فى خدمة الدرك وحراسة الأرض والمواشى ليلا. ولكن العرض الحالى صاحب شيخ الغفر يقول له:

- انت لسه قاصر هتبيع ازاي؟ مين الوصى عليك؟

- أمى؟ ويلتقت ابو شناف لرفيقه

- مين أمه؟ ويجيبه أحدهم :

- ستهم بنت ابو اسماعيل الكلاف.. ثم يميل على أذنه هامسا بصوت كالفحيح:

- كانت أجمل بنت فى البلد

ويأتيه الأمر العسكرى الأول فى حياته:

- خدنى لأمك يا ابن مظلوم

يصل أبو شناف إلى منزل المرحوم مظلوم مع عبد الجبار فى الساعة الثانية عشر منتصف الليل، كانت البلاد كلها نائمة كأنما ماتت منذ عشرات السنين، يهيم عبد الجبار بدق الباب ليلفت انتباه أمه الى وجود ضيف معه، ولكن تسبقه يد أبو شناف فتفتح الباب عنوة، يدخل إلى حوش المنزل يبدو أن ستهم كانت نائمة غافله عما حولها، يقف عبد الجبار ذو السبعة عشر ربيعا وبداخله قيودا لا يراها لكنه يشعر بثقلها فوق كاهله.. وهتف به أبو شناف فى خشونة:

- روح صحيلى أمك

وذهب عبد الجبار ليوفظ أمه ويبلغها ان ابو شناف قد جاء ليأخذ منها حجة الأرض، فضربت أمه صدرها بكفها وقالت وهي تلطم :

- هتبيع أرض ابوك يا واكل ناسك؟ ده ابوك اللي كنت باجول عليه مجنون معملهاش..

- يا امه أنى هابجى عسكرى كد الدنيا .. هابجى زى ابو شناف

- يا ولدى ابو شناف العسكرية ممكفيا هوش رايد يكوش على أراضى البلد كلتها.. فوج يا ولدى أحب على يدك

ومن الخارج يسمع عبد الجبار نداء قائده فيخرج ليتلقى الأمر العسكرى الثانى:

- امسك نوبة الحراسة لحد الفجر .. مبروك انت م الليلة دى عسكرى الدرك الثانى فى البلد

- لكن يا ابو شناف ..

- ابو شناف حاف كده.. انى حكمدار البلد يا غبى

- يا حكمدار البلد امى لوحدها فى الدار .. ومينفعش اسبيكول... تخرسه لطة قويه على خده:

- جراك ايه يا ابن مظلوم انت هتتسى روحك وتعمل زعيم زى ابوك، ده انى عسكرى الدرك اللى باحمى البلد كلها يعنى امك فى أمان معايا وانى هاخذ الحجة منها وامشى على طول انى مش فاضى، ثم يخرج من جيبه ألف جنيه يدسها فى يده

- وادى ثمن الأرض مجدما

ويخرج عبد الجبار لكنه يظل يحوم حول بيته بمسافه تسمح له بسماع صريخ أمه لو استغاثت وفى الداخل يدخل ابو شناف إلى مخدع الام التى كانت تبكى وتهم بالصراخ فيكممها ويدس سمومه فى أذنيها وهو يعتصر نراعاها:

-ابنك مع رجالتى بره لو صرختى هيقتلوه.. فين حجة الأرض؟

تشير إلى الدولار فيفتحه بعنف حتى أن ضلفته قد انخلعت فى يده محدثة جلبية ويجد الحجة فى صندوق مغلق فيأخذها ويدسها فى جيب الجلباب ثم يخلعه ويغلق الباب مانعا ستهم من الهرب ويضربها على رأسها فتفقد الوعى ليتكفل هو بإفقادها الشرف، وعندما طالبت غبية أبو شناف بالداخل استبد القلق بعبد الجبار فدخل الدار وحاول فتح الباب باكيا بلا دموع راجيا ابو شناف أن يفتح لكن ابو شناف لا يرد ولا يسمع عبد الجبار إلا صوت ملابس أمه تتمزق.. ويقف خائرا عاجزا .. يجرى إلى باب الدار يهم بالصراخ، ولكنه لو صرخ سيفضح أمه.. يجرى مره أخرى إلى باب الغرفة يهم بكسره لكنه يخشى من أبو شناف.. قد يقتل امه لو كسر الباب وقد يقتله هو شخصيا، يتحسس الألف جنيه فى جيبه وكأنها ثعبان يلدغه فيخرجها ويلقيها أرضا ويمزق جلبابه ويلطم ثم يتكوم كخرقة من القماش ويبيكى ، وبعد مرور بعض الوقت الذى بدا لعبد الجبار أنه دهر ، خرج أبو شناف من الغرفة شبه عاري وعلى وجهه علامات الانتصار مسلطا عينيه الحادثين الضيقتين على وجه عبد الجبار الذى أكل البكاء عينيه فحاول جاهدا أن يقوم من مكانه ويهاجم أبو شناف لكنه لم يستطع فنكس رأسه، وبعد عودته من الحمام دخل مرة أخرى إلى الغرفة وسمع عبد الجبار صوت صرخة مكتومة إنها أمه لقد استفاقت على المصيبة التى حدثت تتادى على ولدها الذى يقف على أرجل من الهلام ثم يسقط ويزحف على بطنه حتى يصل إلى الغرفة ليجد عسكرى الدرك وقد قيد أمه فى الفراش وحشا فمها بمنديل حتى لا تصرخ وراح يعيد الكره وهذه المرة يغلق عبد الجبار الباب بنفسه حتى لا يرى المزيد، ثم سقط مغشيا عليه..

.. فى الصبأح استرد وعبه لىجد كل شىء فى حالة هدوء حتى انه لم يعد ىمىز هل ما حدث بالأمس كان كابوسا أم حقیقة ولكن ملبسه الممزقة والنقود الملقاة على الأرض وأعقاب السجائر التى كان ىشربها الوحش بالأمس جعلته یتأكد أنها الحقیقة ، وىجرى إلى الغرفة المشئومة لىجدها فارغة لم ىجد لأمه أثر، وسمع صیاحا من بعبد واصوات جلبه، وخرج عبء الجبار لىجد الناس ینظرون له نظرات غریبة وسار بینهم لا یدرى ما ىحدث حتى قابله أحد أصدقاء والده فبصق فى وجهه وهنا راح ىجرى كالمسوع حتى وصل إلى شریط القطار خارج البلد كانت هناك جثنان وفوقهما وقف ابو شناف ینظر بتشفى قائلا:

- سىبوه ده ابن المرحومة

- المرحومة؟ أمى مرحومة؟ كشف الغطاء لىجد أبشع ما ىمكن أن یراه إنسان.

يخرج على من الزنزانة الانفردية وهو في حالة يرثى لها، ويلاحظ باندهاش نظرات التشفي التي تملأ وجه عبد الجبار، ويسرع المعتقلين في تحية على والاطمئنان عليه، ويجلسون في حوش الليمان يتبادلون النكات ويسمعون آخر الأخبار في الجرائد القديمة التي تأتيهم من خلال الزيارات أو العساكر المرتشين، يقرأ سامي ما نشر في إحدى الجرائد المستقلة :

- ولقد نظمت جماعة الإخوان المسلمين مسيرات احتجاجية في الجامع الأزهر وفي المحافظات.. ويغلق الجريدة ثم يتابع في لهجة خطابية قائلاً:

- إنا يا جماعة بنتحرك مع الشعب وتحركنا مشاعر الدين الفياضة وحبنا لله ورسوله.. الحرب اللي بتشنها إسرائيل على لبنان وفلسطين دلوقت هي حرب دينية بالدرجة الأولى.. ثم يرفع صوته قائلاً بشكل خطابي: إنها حرب على الإسلام.. حرب على الله ورسوله. لقد استبد الهلع بإسرائيل وأمريكا عندما وجدوا سلطة دينية في منتهى القوة متمثلة في حماس وحزب الله.. هم عارفين إن الحكومة الإسلامية لو قامت في دول العرب ستكون قادرة على سحقهم ودمجهم..

.. يستمع عادل وعلى وجهه ابتسامه هادئة هي أقرب للسخرية، بينما يميل النمنم على أذنه هامساً:

- يعني حماس وحزب الله هما بس اللي مسلمين يا باشمهندز؟ أمال حكومتنا ملتها ايه؟.. يقول عادل ضاحكاً:

- حكومتنا بزرميط يا نمنم.. ثم يرفع عادل صوته موجها الحديث إلى سامي:

- فيه سؤال محيرني يا أخ سامي يا ترى ممكن تجاوبني عليه؟

يهتز سامي قليلاً ثم يقول وهو يتحسس لحيته الخفيفة:

- طبعاً.. ولو اني عارف ان اسئلك كلها جدال ومراء

- ليه الإخوان متحركوش لما اتقتل جنديين مصريين داخل الحدود المصرية برصاص اسرايلى.. في حين المنشورات ملت البلد والمظاهرات بتاعتكو زحمت الدنيا لما الضرب ابتدا في حكومة حماس واتخطف 8 من وزرائها؟ مش من باب أولى كنتوا تغضبوا للمصريين؟

.. ارتبك سامي وبدأ الغضب يغزو ملامحه وهو يهتف:

- أهى دى التيارات العلمانية والقومية يا إخوانى.. دى التيارات اللي بتشجعنا على العنصريه وان انا لا نشور على ما يحدث في لبنان وفلسطين لأنهم مش مصريين..

- متحورش الكلام يا سامي.. أنا كلامي واضح.. ليه مبتتحركوش عشان قضايا البلد في حين ان قلبكو واكلكو اوى على الزهار وهنية ونصر الله؟ لما انتوا مع الحركات الحرة مسمعناش واحد اخوانى بيتكلم عن جيفارا أو حتى عن عبد الناصر؟ ليه ماسكين أوى في الحركات الدينيه اللي قدرت تتط على كرسى الحكم أو بتحاول؟

- جيفارا كان مجرد مغامر لم يخوض حروبه في سبيل الله.. أما عبد الناصر فكان يعتقل ويقتل أبناء وطنه الذين يختلفون معه في الرأى

- وهل يا ترى حركة حماس ايديها مش ملوثة بدم ناس من حركة فتح؟ وهل يا ترى نصر الله الشيعى بقى فجأة حلو في نظركو ومن عداد المسلمين لمجرد أنه على نفس الوجه؟

.. وترتفع صيحات الاستكثار ضد عادل وما يقوله ويبادر وائل الليبرالى:

- غلط انك تكون ضد نصر الله لمجرد اختلافك معاه في المذهب يا عادل..

- أنا مش ضد نصر الله ولا الشيعة لكن باتعجب للاخوان اللي بقوا مع نصر الله ، فى نفس الوقت اللي لسه فيه بيهاجموا عبد الناصر ويتهموه انه تسبب فى نكسة 67، هو اللي عمله نصر الله يختلف عن اللي كان بيعمله عبد الناصر؟

ويقول وائل:

- انا كليبرالى ضد الاتنين، ومازلت أؤكد ان حسن نصر الله هو المستفيد الوحيد مما يحدث من دمار فى لبنان، هو من أصبح بطلا على حساب دماء أبناء بلده، وبعدين إيه النصر العسكرى اللي حققه نصر الله من بدايه الضرب لدلوقت؟ وليه مبيضربش الأماكن الحيوية فى اسرائيل ايه اللي حايشه؟ .. وتقطع جموع المعتقلين كلام وائل استنكارا لما يقوله ويكاد الجدل أن يتصاعد وينفجر ولكن الصفارة انطلقت معلنة موعد العودة إلى الزنازين وعلى باب الزنزانة يقطع سامى الطريق على عادل قائلًا فى نبرة تهديد:

- ياريت تهدى شوية وتتعظم اللي حصل النهاردة وتعرف ان الناس معنا

- الناس مش معاكو الناس ضد الظالم وتلتف حواليكو عشان تغيظه.. ولو مكانش شعبنا مغيب مكانش ده بقى حاله ولا حالكو

- فوق يا أخ عادل فتح عينيك وانت تعرف ان شمس اليسار غربت من زماان والنهار الجاى لينا

- المصيبة الحقيقية يا سامى ان التيارات السلفية ملهاش شمس عشان تشرق ولو حكمتوا فى يوم م الايام هيكون حكمكم بداية ليل طويل يا عالم هنخرج منه امتى!

ويفاجأ الاثنان بكرباج عبد الجبار يمزق ظهريهما دافعا كل واحد منهما إلى زنزانه دفعًا.. يدخل عادل ويغلق بنفسه باب الزنزانة.. بينما يقف سامى وظهرة لزنزانه ووجهه وعينه يرمقان عبد الجبار فى ثبات ثم يتنسم ابتسامة عجيبة تدفع عبد الجبار إلى جذبه خارج الزنزانة ثم لطمه على وجهه فانتسعت ابتسامته فطمه عبد الجبار ثانية لتظير احدى أسنان سامى الذى يخلص نفسه من يد عبد الجبار بصعوبه قائلًا:

- مش دلوقت يا عبد الجبار.. المواجهة بيننا وبينكم مش دلوقت يا عسكر وينظر له عبد الجبار فى استهزاء ليضربه على قفاه ثم يلقي به إلى الزنزانة .. وفى داخل عبد الجبار بيدأ السؤال:

- الواد ده يقصد ايه؟ هو فى حد يقدر ع العسكر؟

.. ويذهب عبد الجبار إلى الفراش استعدادا لإجازة يومين تبدأ من باكر.. سيذهب إلى علاء بيه لأن انتصار على موعد معه وهو معتاد أن يرتب الشقة لهذا اللقاء وأحيانًا يكون البية مزاجه حلو فيترك له المناضلة بعد فراغه منها.. انه يعجب انه لم يرها ولو لمرة سعيده بضمة أو بقبله من علاء بيه أو منه بل إنها تقاومهما بضراوة كل مرة رغم أنها تأتي بكامل إرادتها.. ويتوقف عبد الجبار مع نفسه قليلا متسائلًا:

- وهى لولا الصور اللي مع علاء بيه كانت تيجى؟ ولا ترضى بالوضع ده دى بنت ناس.. المرة اللي فانت شفت فى ايديها دبله وسمعت من علاء بيه انها اتخطبت لدكتور فى الجامعه.. فينك يا امه تشوفى ابنك وهو بيدل بنت مستشار وخطيبة دكتور فى الجامعه امال ايه مش عسكرى يعنى حكومة.. وهو يا عبد الجبار المستشار مش حكومة؟.. سأل مرة هذا السؤال لعلاء بك فضحك وقال له: يا مغفل أمن الدوله دول هما النظام.. عارف يعنى ايه النظام؟ يومها فهم عبد الجبار أن النظام هو شىء أهم من الحكومة وأخطر.. يعنى علاء بيه أكبر من العمدة والحكومة؟ لا بس انى باذل المعتقلين هنا.. باحبس عادل المهندس واضرب سامى الدكتور وادلع نفسى مع بنت المستشار... ويضحك عبد الجبار وهو ينظر فى المرأة هاتفا:

- آنى النظام .. النظام أنى.. وينفخ صدره ثم ينام متوقعا أحلام سعيده بابنة المستشار تبرى من الذل بين أحضانه لكنه ظل طيلة الليل فى كابوس حقيقى راح يعيد عليه عرض اغتصاب أمه وقتل أبيه على يد أبى

شناف ثم مشهد أمه ملقاء على شريط القطار كانت أمه عاريه تماما ولسانها يتدلى خارجا مما يؤكد أن أحدا قد خنقها حتى الموت.. أما الجثة الثانية فكانت للشيخ على إمام زاويه الاخوان.. ويرفع عبد الجبار عينه الى أبي شناف وهو يقص أكاذيبه على العمدة والمأمور :

- دول كانوا.. استغفر الله العظيم وليلة امبارح اختلفوا مع بعضهم فهددته بفضحه جام جتلها ولما ضبطته واعترف لى كنت هاجبض عليه ولكنه حاول الهرب جمت ضربت عليه سلاحي الميرى فجتلتته .. ده كان مسلح وخطير يا سيادة المأمور.. وأنى والغفر.... لم يسمع عبد الجبار شيئا مما تلى ذلك لأنه فقد الوعي ونقلوه إلى الوحدة الصحية وقد فقد الوعي والارادة... ويستيقظ مفزوعا قرب الفجر لتعاوده الحقيقة المرة، كل مافعله ويفعله وسيفعله من شر لن يمحو عاره ولن يهدىء خواطره المتألمه.. كان لابد أن يأخذ بثأر أمه .. يوم خروجه من الوحدة الصحية.. كان مشتت الذهن لا يدري أين يذهب.. انتظر الليل ودخل إلى قريته ليفاجأ بأن منزله قد سوى بالأرض.. وليجد نفسه أمام واقع مر.. صبى فى الساعة عشر من عمرة بلا أب ولا أم ولا منزل ولا أرض.. حتى ثمن الأرض ضاع .. ويقرر عبد الجبار العوده إلى المركز لعله يجد عمل فى المدينة لكنه يفاجأ بيد من حديد تربت بقسوة على كتفيه ويستدير ليجد نفسه وجها لوجه أمام أبو شناف.. قاتل أمه وأبيه وسبب كربه..كان داخل عبد الجبار بركة من غضب ولكن فى داخله أيضا كانت شلالات من الخوف منعتة حتى من إظهار مقتته.. و احتقر نفسه لكن هذه الليلة علمته كيف أن الخوف لو تمكن من الإنسان يكون كفيلا بإطفاء غضبه وقتل نخوته.. لقد تعلم فيما بعد على يد أبى شناف أن الخوف يخرج من الناس أسوأ ما فيهم.. فيجبر النسوان أن يسلمن أجسادهن لمن يشهر عليهن المطاوى ، و يجعل الشاهد ينكر انه شاهد و من لم ير يشهد زورا أنه رأى، الخوف هو الذى دفع الناس إلى ترك والده يقتل ثم ينزف لمدة ساعة دون أن ينقذه أحد، الخوف هو ما جعله يسلم أمه لذئب بشرى يغتصبها ثم يقتلها، الخوف من العسكر هو ما دفعه إلى التضحية بكل شيء لكى يصبح منهم يوما ما.. الخوف هو الذى صنع منه كلب أبى شناف المطيع منذ تلك الليلة بالرغم من أن الأخير هو من أخذ أرضه وسلبه عرضه وقتل أباه وأمهم ومنزلهم.. الخوف ..الخوف..

فى منزل علاء ضابط أمن الدولة .. تخرج انتصار من غرفة النوم وعلى وجهها أقسى آثار الامتعااض والغثيان، تجلس على الأريكة ويلحق بها علاء مترنحا وفى يده كأس من الخمر، وترجوه باكية أن يسلمها الصور التي التقطها لها فى المعتقل لكنه يرفض، فتصرخ فى وجهه:

- أنت عايز إيه منى؟ مش كفاية لغاية كده فتيات الليل ماليين البلد.. ارحمنى وسيبنى أعيش حياتى.. يحاك رأسه شعره القصير للغاية ثم يسألها كأنه لم يسمع ما قالته :

- انتى خطيبك فى جماعة 9 مارس؟

-

يثيره صمتها فيمسك بذراعها بشده وهو يقول:

- أنا عايزك تبليغنى أول بأول مواعيد الاجتماعات ونص الكلام اللي بيتقال وأسماء كل أساتذة الجامعه من أعضاء الحركة وهل فيهم إخوان وكام واحد؟ أنا سمعت ان فيهم واحد بهائى عايز اعرف عنه كل... تقاطعه صارخة فى وجهه :

- انت عايزنى اشتغل مرشدة لأمن الدوله يا ابن ال... تخرسها لطمه قويه على وجهها ويصرخ فيها وقد احمر وجهه:

- وانتى كنتى من خمس دقائق بنتشغلى ايه فى أودة نومى؟ على الأقل مرشدة أنظف من ..

لم تسمع باقى ما قاله كان بداخلها بركان متفجر من الغضب ليس منه فقط ولكن من نفسها، من خوفها الذى جعلها تأتى إليه بنفسها بدلا من المرة خمسة وعشره وفى النهايه لم يعطها الصور، وراحت تسأل نفسها أين ذهبت شجاعتها هى من كانت تقف فى المظاهرات لتتهتف باسم مصر، هى التى كانت تلقى الخطب الحماسية فى الجامعه ضد الخوف والقهر، وفى داخلها تأكدت أن ضعفها هو السبب الذى جعل خوفها يحولها إلى أسيرة وعبد لهذا الحيوان.. وخرجت انتصار مهزومة من منزل علاء تسير على غير هدى وقد جعلتها لحظة الضياع تلتقى بنفسها مجددا وتكتشف الحقيقة المؤلمة : نعم إن من اغتصبها كان علاء الكلب وذلك العسكرى القذر، ولكن من دفعها إلى الاستسلام لهما مرة تلو الأخرى ؟ خوفها؟ ولكن لماذا خافت أن ينشروا صورها معهما أو يستغلواها بأى شكل؟ هل هو خجلها أن يراها الناس عارية؟ أم خوفها من كلام الناس؟ الناس! الناس! هما الناس سبب المصائب التى حلت بها وبهم.. خوفهم ووحشيتهم وجبنهم جعلهم دائما يشجعون القوى ويدهسون الضعيف، جهل الناس وظلمهم يجعلهم يلقون دائما باللوم على المغتصبة ليس على المغتصبين، وسألت نفسها : ترى هل نجح حكم العسكر إلى ذلك الحد فى زرع مخبر داخل كل مواطن؟ هل نجح الجبروت فى جعلنا نقهر بعضنا البعض؟ وتذكرت انتصار عندما كانت فى الثانوية العامة وقامت انتفاضة فلسطين الثانية، لم تر المصريين يتحركون فى حياتها كمثلك تلك الأيام حتى أطفال الابتدائى خرجوا إلى الشوارع فى المظاهرات، وقامت مظاهرة فى حوش المدرسة وجاءت زميلتها نور التى كانت تقرأ القرآن فى الإذاعة المدرسية كل صباح ووقفت فى منتصف الحوش وعيونها حبلى بالدمع لتخلع حجابها الأبيض وترسم عليه نجمة زرقاء سداسية الشكل ثم تشعل فيها النار، لم تنس انتصار أبدا كيف خرجت مدرسة البنات فى المرواح فى مظاهرة كبرى لتلتحم بمظاهرة أخرى للشباب فى المدرسة الثانويه للبنين التى كانت بجوارهم، مشهد لم يحدث منذ ثورة 19 ، انتابها الخوف للحظة فلقد كانت حوادث التحرش من قبل مدرسة البنين لا تعد ولا تحصى قبل ذلك اليوم ، ولكنها فوجئت بأنها تسير محاطة بالفتيان ولم يمسه احد منهم بسوء لقد كانوا يهتفون من أجل الحق، لم يعودوا يشعرون بالكبت حتى يفرغونه فى الأجساد الانثوية الغضة التى تحولت إلى أجساد مشتعلة بثورة على الظلم والعدوان وحناجر تهتف بالحق كحناجر الرجال . كان يوم نزعوا فيه الاغلال

فظهر أجمل وأنبيل ما فيهم، كانت تشعر أنها في مظاهرة للطيور، عرفوا فيها للمرة الأولى ان لهم أجنحة يطربون بها إلى الشمس دون أن تحرقهم، نظروا يومها إلى السماء واكتشفوا جمالها ورحابتها فلم تعد داخلهم حاجة للنظر إلى الأعضاء التناسلية للآخرين، ولكنها أيضا لم تنس كيف اقتحمت الغربان السود سماء غضبهم المقدس ، كيف ضربوهم بالعصى المكهربة، وكيف حشروا الأولاد في صناديق ضخمة هي اشبه ما تكون باقفاص القروذ ليأخذوهم إلى مكان مجهول..

.. وفي الصباح دخلت الفصل حصة الدين كانت اولى حصص اليوم ، دخلت المعلمة وفي فمها لبانة نتشقق بها ونادت على نور تَوْنِها أمام الجميع على خلع حجابها الذى رسمت عليه علم اسرائيل ثم أحرقتة، تصرخ فيها :

- انتى مش عارفه ان كده حرام؟ تخلعى حجابك وتمشى مع الشبان من غيره اطلعى بره الفصل ومتحضريش حصتى تانى

.. وجاءت الحصة الثانية ، حصة التربية القومية، تدخل المخبرة عفوا المعلمة لتعطيهم درسا فى الأخلاق وكيف ان من اشتركن فى المظاهرة بالامس كن من الساقطات خرجن ليقابلن شباب المدرسة الثانوية للبنين وأن العديد من المساخر ارتكبت وأن بعض الفتيات اختتمن المظاهرة فى شقق مفروشة مع الأولاد، والله يعلم أنها كاذبه والله يعلم أن من اشتركوا من أولاد وبنات قد تحرروا ولو لمرة من قيود الجنس ، فثارت انتصار مما قالته المدرسة عن وجوب حب الرئيس وعن الحكومة اللى طفحانه الدم عشان تأكل بنات فاجرات مثل اللاتى اشتركن فى المظاهرة وعن حب الأهل والمحافظة على كرامتهم ..وطلبت انتصار الكلمة وبدأت توضح الحقيقة فطردتها المعلمة خارج الفصل..

...فى المرواح وجدت الفتيات يضعن الروح خلسة قبل أن يخرجن إلى الشارع، ورأت الفتيان وعدد لا بأس به منهم حليقى الرأس -على الزيرو- وقد خرجوا من أققاص الحكومة رأتهم يتسكعون أمام المدرسة وفى عيونهم نهم غريب. سكتت أصوات الغضب وارتفعت أصوات ضحك البنات بشكل هستيري والصورايخ والبمب فى يد الولاد ومن خلفها جاء أحد الفتيان ووضع يده فى مكان حساس من جسدها ووقتها عرفت أنها لن تطير مرة أخرى أبدا ..

.. ومرت سنوات وعرفت انتصار أن معلمة الدين قد تم سجنها بعد أن سرقت مرتبات زملائها من خزنة المدرسة التى كانت فى عهدة صديقتها السكرتيرة، وأن معلمة التربية القومية التى أعطتهن درسا فى الأخلاق قد ضبطها زوجها عارية فى أحضان رجل آخر وسمعت انه قد رفع قضية زنا عليها، ولكن الاخبار تسربت فى المدرسة انه قد سجن فى قضية اتجار بالمخدرات وان المعلمة قد تزوجت من الرجل الآخر الذى كان ضابط شرطة فى مكتب مكافحة المخدرات!!

.. وعندها تأكدت أن مصر فى خطر، وعاهدت نفسها على ألا تطفئ جذوة غضبها ، وألا تتخلى عن اجنحتها مهما امتلأت سماء البلد باليوم والغربان..

واتخذت انتصار قرارها بالاعتراف لخطيبتها بكل ما حدث لها فى الاحتجاز وقررت عدم الذهاب إلى علاء مرة أخرى وليحدث ما يحدث

.....

جلس بعض المعتقلين في الحوش يتناقشون حول وفاة نجيب محفوظ التي حدثت منذ أربعة أيام فى 2006 كان وائل أكثرهم تأثرا فقد كان يرى أن نجيب محفوظ هو الإبن البار لتاريخ الليبرالية المصرية، وواقفه عادل على هذا رأى وإن كان يرى أن لنجيب محفوظ اهتماما بالبسطاء وعلاقات جيدة باليسار، وهنا يتخل شوقى اليسارى المتشدد ليقول:

- انا كان عندى يدوا نوبل لو احد زى أحمد فؤاد نجم ولا يوسف ادريس ولا حتى نجيب سرور أحسن مليون مرة من سى نجيب محفوظ ده ويسأل نمم فى حيرة:

-انتوا مهتمين بالراجل ده ليه كده، هو يعنى مدوبش هدم الفرحة حتى كان عنده أكثر من تسعين سنه؟ ويجيبه سامى وهو يعبث بلحيته الخفيفة:

- أنا مش عارف سر حزنكم على هذا الزنديق.. ده كان لا بد أن يستتاب قبل موته عموما أهو راح فى داهية ويقطع حديثهم صوت أحد العساكر:

- سامى عبد الصادق .. زيارة

ويقوم سامى إلى زائريه تاركا خلفه علامات استفهام من الجميع لماذا وكيف يكون هو الوحيد المسموح له بالزيارة بالرغم من أنه اخوان؟ وفى مكتب نائب مدير المعتقل يدخل سامى ليجد محاميه وأحد كبار رجال الاعمال من الاخوان وهو يسلم الضابط ظرفا مكتظا ليخرج ويتركهم بمفردهم ويميل سامى على محاميه هامسا:

- أنا تعبت أوى يا أستاذ منتصر أرجوك شوفلى صرفة دول بيرمولنا الأكل ع الأرض من غير أطباق ده غير التعذيب والإهانة فيطمأنه المحامى:

- متخافش يا سامى احنا قالين الدنيا بره ومش هنسكت غير لما نطلعك انت وزمايلك عموما ماهيتك ماشية وتوصل لأهلك فى المنصورة بانتظام وقال له رجل الأعمال:

- خد يا سامى القرشين دول هينفعوك هنا وعائزك تشوف مذاكرتك الامتحانات قربت يا دكتور.. قوللى العيال بتوع الطائفة المنصورة اللي قبضوا عليهم من كام شهر انا عرفت انهم هنا ايه رأيك فيهم؟

- دول لا طائفة ولا منصوره الظاهر انهم اتاخدوا غلط بس انا اتكلمت معاهم وواضح انهم من المحبين

- طب عال عموما حاول تقربلهم وتخليهم مش بس محبين لأ وعاملين كمان ضمهم لصفوفنا .. احنا نحتاجهم بعيدين

وتنتهى الزيارة لينفرد سامى بنفسه ولم يدر لماذا عاوده هاجس قديم كان يلح على ذهنه أن حسن المسئول عن تفجيرات الأزهر كان وراءه الإخوان لقد قابله مرة فى أحد الاجتماعات بالقاهرة ترى فيم سيحتاجون أعضاء الطائفة المنصورة؟ وترددت فى أذنيه آخر كلمات الرجل المهم فى الزيارة:

- هيجى ناس يفتشوا ويصوروكو وعائزك تقول ان الاوضاع فى المعتقل تمام فاهم؟ .. وحتى لو مش فاهم سينفذ ما دام مرتبه لم ينقطع بيقى خلاص.. منتى جنبيه يأخدهم أول كل شهر مبلغ متواضع؟ ربما لكنه على الأقل أكبر من إعانة البطالة التى وعد بها أيمن نور فى برنامج الانتخابي بل إنها

حتى أكبر من مرتبات كثير من موظفى الحكومة القيادات يسمونها مساعدة ولكنه كان يعلم علم اليقين ان هذا المبلغ ما هو الا مرتب نظير خدماته..وسأل نفسه : يا ترى مين الزوار اللى هيجوا بصوروا؟

انتشرت الأخبار فى المعتقل وجمع عبد الجبار المعتقلين ليبلغهم أن التلفزيون الأمريكى سيقوم بتصوير وبتش وقاتع حملة تفتيش ستقوم بها زارة العدل على المعتقل وأن الجميع لابد أن يكونوا على مستوى المسئولية وألا يشوهوا سمعة مصر أمام الأجانب ثم نظر لهم نظرة تحمل الكثير من الوعيد والتهديد وقال :

-مشاكلنا ن..ن..نحلها ف..ف..فى الداخل. وكان المعتقلون يكتمون ضحكهم بصعوبه على مشهد عبد الجبار وهو يتقمص شخصية المسئول الحكومى ويعرفهم معنى الوطنية وعلى تهتهته فى الكلام التى تتعارض مع نظراته الحادة وجسده الضخم ورد عليه وائل:

- اسمع يا عسكرى انت اللجنة بتاعة بكره جايه تحقق فى واقعة موت شاب هنا فى المعتقل وهتك عرض آخر واحنا مش هنخبي حاجه وبعدين ازاي نبقى احنا طالبينهم يجوا يحققوا وبعدين لما يجوا نقولهم مفيش حاجه كنا بنضحك عليهم مثلاً؟

ورفع عبد الجبار بندقيته فى غضب ليضرب بها الصحفى الليبرالى ولكن أوقفته صيحه من محمد بيه: عندك يا زفت ويقف بينه وبين وائل هاتقا : حاسب يا ابن الحزمة يا غبى.. ثم ينظر لوائل مبتسما ابتسامه صفراء: انا آسف يا أستاذ وائل لا مؤاخذه أصله طور بعيد عنك بيتسم وائل فى سخرية بينما يواصل الضابط:

- احنا بنعتذر عن أى خطأ وقع على احد فيكم ونوعدكم المعاملة هنتغير وانتوا شوفتوا امبارح والنهارده كنا فى غاية الذوق والأكل اتغير.. فهتف عادل فى سخرية:

- اه فعلا بقى فى اطباق بعد ما كان بيترمى على الأرض واحنا نلحس..ونظر اليه الضابط نظرة وعيد وكأنه يقول: حسابنا بعدين

ويدخل المعتقلون الى العنابر بعد حالة هرج ومرج وبعد ان اعلنوا اصرارهم على فضح المعتقل أمام اللجنة وامام القناة الامريكية التى ستصور

ويجتمع ضباط المعتقل مع مندوب الداخلية لمناقشة كيفية لم هؤلاء المعتقلين على ما اللجنة تمشى ومعاهما القناة الامريكية

وفى الصباح تم خلط مياة الشرب والعصائر ببعض حبوب الهلوسه والعقاقير التى تسلب المرء إرادته ثم تم توزيعها على المعتقلين وجاءت اللجنة فى الصباح ومعهم فريق تصوير أحد البرامج فى قناة أمريكية و بيتر عونى مدير مكتب القناة فى القاهرة وقام مدير المعتقل بمصاحبتهم فى الجولة التى بدأت بزنازة انفرادية تم تنظيفها ووضع فراش ولحمه حمرا وفتح الباب ليفاجأ الزوار بالمعتقل نمم فى حالة سكر بين ومعه فتاة جميلة فى وضع مخل ورفع أحد وكلاء النيابة صوته صائحا: ايه القرف ده .. وارتيك مدير المعتقل ثم استجمع شتات نفسه مبررا: يا فندم دى زنازة للخلوة الشرعية بين المعتقلين وزوجاتهم احنا فى المستقبل بنسعى يكونوا تلاته او اربعه عشان يكفوا خصوصا الموضوع ده شغال دلوقت بالدور وبيبقى عليه خناقات بين المعتقلين

واندهش بيتر وسأله : لكن القانون المصرى لا ينص على إعطاء السجن حق الخلوة الشرعية فما بالكم بالمعتقل؟؟

ورد عليه المدير: نحن لا نؤمن بالبيروقراطية واحنا عاملين يوم فى الأسبوع للزيارات العائلية والخلوات الللى زى كده

وهنا صاحت المذيعة الامريكية

- واو اتس فانتاستيك ..والتقت النمنم اليهم صارخا :

- ايه ده بقى انتوا مش قلتوا خد راحتك يا نمنم والمزة دى بتاعتك النهاردة كله؟ هاخذ راحتى ازاي وانتوا واقفين تفرجوا كده زى المحاريم؟

زغده احد الضباط الشباب وهمس له: اسكت وخليك فى الللى ف ايدك فضحتنا الله يفضحك

وابتسم المدير فى ارتباك نسيهم براحتهم وناخدكوا للزنزانه الللى بعد كده وأخذهم الى زنزانه سامى الذى كان الوحيد الفايق فى المعتقل والذى راح يمدح فى إدارة المعتقل وفى الجو الهادى الذى يساعده على استذكار دروسه

ثم فوجيء الجميع بجرس الفسحة اليومية الذى جاء يبدو على غير اتفاق ولا ترتيب حتى ان الضباط قد ارتبكوا جميعا دون ان يعلموا ان عبد الجبار هو من اخرج المعتقلين من الزنازين بحجة انه يوريهم سعادة المساجين على الطبيعية.. وخرج المساجين ومع بعضهم فتيات وسيدات ومع بعضهم الاخر اجهزة كاسيت يسمعون بها اغانى هابطة انتقاها عبد الجبار وذهبت المذيعة الى مجموعته تغنى مع شعبولا يا عم عربى اصحى .. ليقول احد المعتقلين والذى كان يبدو على جسده نصف العارى آثار تعذيب: يا اهلا بالضيوف

يسأله بيتر ترى ما سر الكدمات التى اراها على وجهك وجسدك

قال: انا السبب يا بيه قعدت اضرب نفسى فى الحيط لما جبت اخرى

- ولماذا؟ نظر الى الفراغ فى بلاهة قائلا:

- هاه؟ عقدة نقص يا بيه

ويأتى عبد الجبار بعادل ليلتقى بالمذيعة:

- هل حقا تعيشون الان ازهى عصور الديمقراطية ؟

- لأ طبعا.. ويجف حلق مدير المعتقل

ويضحك عادل قائلا وهو يرقص

- نحن نعيش الآن ازهى عصور المهلبية...

ازاي

يعنى يا مهلبية يا وكل ريس يعمل الللى على هواه ويستغرق فى ضحك هيسثيرى

ويغادر الزوار مسرعين والغضب والذهول يرتسم على وجوههم.

.....

بالطبع كانت فضيحة تناقلتها وكالات الانباء العالمية شهورا طويلة عن الخمور والجنس الذين عما المعتقل

المصرى. وراح فيها مدير المعتقل وبعض الضباط

من حين لآخر كانت ذكريات المرة الاولى فى حياة عبد الجبار الجنسية تجتاحه. كانت فتاة فى الخامسة عشر من عمرها أمها كانت ماشطة البلد وابوها كان حلاق الصحة يعنى المقابل للكوافير والجراح تخيلوا كوافيرة متجوزة جراح كانوا اغنى بيت فى البلد بعد دوار العمدة.. وكانت دى بنتهم الوحيدة التى انقطعت امها عن الولاده بعدها بسبب مشاكل فى الولاده يقال ان السبب فيها هو الزوج -حلاق الصحة- الذى أصر على القيام بتوليد زوجته بنفسه. المهم ان البنات كبرت قبل الاوان لتصير أجمل بنات القرية.. كان عبد الجبار أيامها فى السادسة عشر من عمره وقد أصبح من الرجال المقربين لشيخ الغفر وقد كلفه ان يقوم بالحراسة الليلية دائماً ومن هنا جاء اللقب الذى اشتهر به عبد الجبار "عسكرى الدرك".. يذكر عبد الجبار جيداً ان البلد وقتها صارت بلا رجل تقريبا كان هناك رجال لكنهم كانوا مثل الفراريج جنباء لا يتحدثون الا فى التفاهات. وكان اكثر من يتحدث هو حلاق الصحة الحلاقين كلهم كثيرو الكلام لا يصمتون الا بالموت. وكان سعد من هؤلاء. كان شيخ الغفر يحب قعدة سعد ورغيه وخوضه فى أعراض ستات وبنات القرية.. لم يترك واحده الا وادعى ان له معها حكاية. وكان ممكن ان يستمر الامر على هذا المنوال لولا ان جاءت الليلة الموعوده .. كانت ليلة زفاف بنت شيخ الغفر التى كانت فى الثانية والعشرين من عمرها - عانس فى نظر اهل القرية من تتزوج فى هذا السن - فى قرية عبد الجبار تتزوج الفتاة فى الثامنة عشر على اكثر تقدير - كان فرح كبير تاجل لاكثر من مرة بعد دور تعب الم بشيخ الغفر والزمة المستشفى فى البندر لشهر كامل.. فى هذه الليلة ذهبت "جمالات" الماشطة الى منزل شيخ الغفر لتزيين ابنته وبعد ان انتهت من عملها وتناولت العشاء وأخذت معها طعام يكفيها واسرتها ليومين على اقل تقدير فوجئت بأبى شناف يعترض طريقها ويلح عليها فى المبيت حتى تقوم بتزيين ابنته فى الصباحية قبل ان يأتى المهنتون.

- انتى عارفة يا ام صباح ان البت وشها عفش زى امها الله يججمها مطرح ما راحت.. وانى خايف لو حماتها شافتها من غير احمر واخضر تقض الجوازة واحنا ما صدقنا.. وان كان ع الوكل هاشيعهولك ع الدار حدا سعد وصباح.. حاولت جمالات التملص ولكن الامر بالمبيت صدر واللى كان كان..

انتهت الحفلة وذهب كل الى داره ودخل العريس والعروس الى غرفتهما وأغلقا بابها.. ودخلت جمالات الى الغرفة والخوف يعنصرها فسمعة ابو شناف معروفة وحاولت البحث هن مفتاح تقفل به الغرفة فلم تجد ورفقت على الفراش تفكر وتفكر حتى مر وقت كثير وهدا الجو تماما فخالته ان ابوشناف قد نام ومع الوقت بدأ النوم يغزو عينيها ويخدر جسدها وبدأ يراودها كابوس بان انفاسها تختنق وكأن شىء ثقيل يجثم فوقها وبدأت تتأصل لحصول على جرعة هواء حتى استيقظت وليتها ما فعلت..

فقد وجدت ابو شناف يجثم فوقها كما يجثم الاسد فوق فريسته صرخت فم تخرج الصرخة فقد كانت مكمنة حاولت دفعه عنها فاكتشفت انا مقيدة اليدين والقدمين تذكرت ابنتها وزوجها فانفجرت الدموع من عينيها على حظها الاسود الذى كتب عليها ان تفقد شرفها دون ادنى مقاومة منها تركت ابو شناف يفعل ما يريد وقد قررت الانتحار بمجرد ان يطلق سراحها نعم ستلقى بنفسها فى النيل بمجرد ان تخرج من بيت الذئب.. وعندما قاربت اللحظة التى تخشاها اى امرأة انتابت جسدها رعشة قوية من شدة الخوف والالم .. ولكن شيئاً لم يحدث .. فجأة وجدت ابو شناف يبتعد عنها كالمسوع والذهول يملأ عينيها.. لم تفهم جمالات الا بعد ان عاود ابو شناف الهجوم عليها مرة اخرى وللمرة الثانية لم يفلح.. ومرة الليلة فى محاولات فاشلة حتى اقترب الفجر وتحول هياج شيخ الغفر وغضبه الى انكسار وشعور بالمهانة و.. دموع

لقد كانت جمالات اول مواطنه فى القرية المنكوبة ترى دموع ابو شناف. وامتألت عينها بابتسامة شماته
وتشفى وفرحة لان الله انقذها. فما كان من ابوشناف الا ان أوسعها ضربا واستدعى عبد الجبار لينقلها الى
الزربية ويربطها هناك حتى ينظر فى أمرها .

المهم انه لسبب ما تركها تمضى بعد ان نبه عليها الا تذكر شيئا مما حدث لاي مخلوق والا فانه سيقفلها هي
وزوجها وابنتهما.. وخرجت الماشطة لا تلوى على شىء حتى وصلت الى منزلها وراحت فى نوم عميق
حتى انها لم تستيقظ الا قبيل المغرب بدقائق..

كان اول شىء فعله ابوشناف فى الصباح الذهاب الى محل الحلاق سعد ليستطلع الامر ليجده يقوم له بكل
توقير وترحاب خالى من التشفى او الغيظ مما طمأن ابو شناف، واكن من الممكن ان يمر الامر بسلام لولا ان
ابو شناف راح يحكى لسعد عن مغامراته الليلة الماضية مع الغجرية التى رقصت فى فرح ابنته.. ولمدة
اسبوعين راح يذيع حكاية الغجرية فى القرية .. حتى وصلت الحكاية الى جمالات الوحيدة التى تعرف الحقيقة
كاملة. وفى احدى الياالى فى ساعة صفا كان سعد يحكى لزوجته عن الغجرية وعمائل ابو شناف معاها
ففوجىء بزوجته تضحك بسخرية فقال لها:

ايه يا ولية مش مالى عينيك اياك؟ مامصدقاش انى اقدر اعمل زيه؟

فاندفعت جمالات بغباء شديد قائلة:

- وهو ابو شناف بيعرف يعمل حاجه اصلا؟ ده منظر منفوخ ع الفاضى اه لو تعرف الحقيقة يا ابو صباح
والنبى كنت تضحك.. هب سعد بغضب وحيرة سائلا اياها والشك يملأ عينيه:

وهى ايه الحقيقة يا جمالات؟ ارتبكت جمالات وقد ادركت غيابها بعد فوات الاوان:

- وانا وانا ايه عرفنى اهم بيقولوا انه ..

انه ايه انطقى

- انه مبيعرفش.. المرض الى جاله اثر عليه وعجزه

وبالطبع البقية معروفه تطور النقاش بين الحلاق وزوجت وانتهى بعلقه ساخنة وباعترافها بتفاصيل الليلة
المشؤومة ..

كان الحلاق جبانا كبقية اهل القرية كان بداخله غضب وتشفى لا يمكنه كتمانها.. ولانه كان ضعيفا لم يجد
الا سلاح الثرثرة لينتقم به من ابو شناف وفى اقل من اسبوع ملات شائعات عجز ابو شناف الجنسى القرية
وأجوارها. وجن جنون ابو شناف زوراح يقصى حتى علم ان وراء الخبر الغجرية التى قالت للحلاق ولان
ابو شناف يعلم جيدا ان الغجرية لا تعلم فقد تأكد له ان الحلاق هو من قال وهنا قرر العقاب..

.. مازال عبد الجبار يذكر تلك الليلة كانت ليلة سوداء بكل ما تحمله الكلمة من معنى لم يطلع القمر وكانت
الذئاب تعوى اكثر من اى وقت مضى .. وتحركت كتبية الاعدام التى شملت ابو شناف وعبد الجبار ورجلين
اخرين الى منزل سعد اقتحموه عنوة وقيدوا الثلاثة الرجل وزوجته وابنتهما .. ووقف ابو شناف فى صحن
الدار قائلا:

بقى بتفضحنى يا حلاق الغبرة؟ طيب و اشار الى رجليه لياتياه بجمالات وفكوها وجردها من ملابسها والقوها
تحت قدمى ابو شناف الذى امرهم بربطها هكذا وتركها ثم وقعت عيناه على الفتاه الجميلة فثار شهورته
فأمرهم بجلبها اليه وارتمت تحت قدميه عارية فهجم عليها وراح يحاول ولكنه فشل ليلمح التشفى فى عين
الحلاق مما اثار كل الشر والاستبداد بداخله فأمر رجليه باغتصاب الزوجه فعلا والحلاق يصرخ صرخات
مكتومة من تحت الكمامة وانتحى عبد الجبار جانبا وقد انتابته حالة عصبية بعد ان تذكر مشهد اغتصاب امه

وراح يهذى: اه يا امه اه يا امه.. وشعر ابو شناف بالخطر فيها هو واحد من جنوده يرق قلبه للضحية فأخذه وخرج بعد ان امر رجليه بجلب الفتاه الى عشة الخوص اللي بره البلد وبحرق المنزل ومن فيه.. وراح ابو شناف طيلة الطريق يهذى من روع عبد الجبار ويفهمه ان امه اغتصبت لانه لم يكن من رجاله وقتها ولانه لم يكن فى وعيه يومها ثم بدأ التهديد وانت عارف انك لو خرجت دوقت عن طوعى اختك مش هتبقى فى امان.. وللمره الثانية غلب خوف عبد الجبار غضبه.. وخصوصا عندما جاء الرجلين ومعهما الفتاة الجميلة وبدأ ابو شناف يغوى بها عبد الجبار ويقول له: انا لم اتجب وانت ولدى وساعدى الايمن انا لو شفتك معاها هاببقى كانى ان بالظبط الى معاها.. وبدأت شهوة عبد الجبار تتحرك ولكن دموع البنات ولهفتها على ابويها كانتا تمنعاه وهنا جاءه ابو شناف ابشع من الشيطان ليوسوس فى اذنيه:

غمض عينك وتخيل أنها مرات واحد أنت بتكرهه.. وبالفعل أغمض عينيه وتخيل.. تخيل انها ابنة ابو شناف والذى اغتصب أمه ويريد تحويله هو الآخر إلى مغتصب وفتح عينيه ليقيد الفتاة المسكينة ويحشو فمها بمنديل لكى تكف عن الصراخ وراح يفعل بها ما فعله أبو شناف بأمه... مرة واثنان حتى سقط متعبا وراح فى نوم عميق...

يعد تلك الليلة علم ان الفتاة تم إرسالها إلى العجرية التى سافرت بها إلى شمال الدلتا لتعمل غازية فى الموالد والأفراح وظلت هذه الفتاة أمل عبد الجبار وغايته حتى يومنا هذا..

كان والد انتصار فى غاية السعادة وقد عاد من أربع سنوات قضاها فى السعودية لم يدر ما حدث لابنته خلالها كل ما يعلمه أنها تتزوج من شاب ممتاز وانها أجمل عروس رآها فى حياته .. يداعبه نائب رئيس نادى القضاة قائلاً:

- أبو العروسة فاضى ومشغول؟

فقال ابو انتصار:

- لا يا فريد باشا أمها وانت الصادق؟

وضحك الجميع.. وجلس داوود والد انتصار الى جوار نائب رئيس نادى القضاة وسأله:

- انا كنت متابع أخبار الازمة بينكو وبين الحكومة

- الأزمة لم تنتهى بعد يا داوود

- يا عم ما تلموا الحكاية بقى .. يعنى الحكومة بتفكر ترفع سن امعاش 70 سنة وماله مصلحة احنا

المستفيدين.. لكن زكريا عبد العزيز يطلع يشاغب كالعادة ويقول ده خطر طب خطر على مين.. علينا؟

- هو احنا منتحركشى الا لو كان الخطر علينا؟ الخطر ع البلد يا داوود واحنا مش أنصاف الهه عشان نفضل

فى اماكنا ومناصبنا للابد وكمان الحكومة مش مع القضاة ولا غيرهم الحكومة مع مصالحها ومصالح رجال

الاعمال الفسدة ومع كل اللى بيظرمخ على مصايبيهم السوده.. انت عارف ان ابنى رئيس محكمة وكان فى

الانتخابات الاخيرة تعرف ان الضباط ضربوه لما رفض دخولهم اللجنة ومش بس كده لأ دول حبسوة فى

الحمام وسودوا البطايق الانتخابية بمعرفتهم عشان مرشح المعارضة ميكسبش عارف يعنى ايه رئيس محكمة

يتحبس فى دورة المياة يا سيادة المستشار؟؟؟

يهم داوود بامقاطعة ولكن زميله يكمل:

- ولا رئيس المحكمة التانى الى انضرب بالجزمة فى وشه فى الشارع.. البلد باظت.. كلاب ابن

المحضر بقت بتضرب القضاة بالجزمة شوفت الزمن؟

.. وفى ركن قصى من القاعة الفاخرة وقفت أم انتصار مستندة إلى الحائط وبدها على قلبها كانت ابنتها فى

نظرها أجمل عروس وكان يوم عرسها ليكون أسعد الأيام لولا تلك الأيام السبع التى قضتها خارج البيت

محتجزة.. عندما عادت ابنتها لم تسألها عن شىء فقد كانت آثار التعذيب بادية عليها ولكنها أبدا لم تتأكد ان

كانوا سلبوها عذريتها أم لا ولم تحاول أبدا أن تسأل انتصار فلو كانت أجابتها بنعم لكانت غادرت الحياة كمدا

كل ما فعلته هو أنها انتظرت شهرا تلو الآخر ولما لم تظهر علامات الحمل على ابنتها اطمأنت وإن كانت

طمأنينه وهمية.. لم تمنعها من توجيه تلك النظرة الى ابنتها من حين لآخر وكانت انتصار تجيب باحناء رأسها

فى الأرض أو بإشاحة وجهها إلى الفراغ.. وراحت أم انتصار تدعو الله أن يستر ابنتها بل لقد ورد لها خاطر

أن الله لو أخذ عريسها هذه الليلة لسترها وتصيح فى نظر الناس أرملة وتختفى الحقيقة المفجعة إلى الأبد. أما

انتصار فقد جلست على الكوشة وكأنها جالسة على كرسى من جمر واختلست نظرة إلى عريسها الذى علت

وجهه ابتسامة فرحة وظفر فقد فاز بعروس جميلة ومتقفة وابنة ناس ولكنه لم يكن يعلم أن هناك من ظفر بها

قبله. وسألته انتصار نفسها ترى هل لو عرف الحقيقة ستنزل تلك الابتسامة على وجهه؟ ثم سألت نفسها إذا ما

كانت تحبه أم لا ولم تدر لسؤالها إجابته فما حدث لها أفقدها أى قدرة على التمييز بين الحق والباطل أو بين

الحب والادعاء ، كل ما كانت تعرفه هو أنها كانت تتمنى أن تتزوج من بطل قومى وزوجها رجل وسيم

ومدرس فى الجامعة ومعارض للنظام كما أنه كان أستاذها ولا بد أنها انبهرت به وبثقافته وافتاحه وعندما

غابت قرابة الشهر بعد ما حدث لها وانقطعت عن دراستها العليا لم يكن منه إلا أن بادر بالاتصال بها

والاطمئنان عليها .. كان يعلم تماما نشاطها السياسى لكنها لم تصارحه بواقعة اختطافها واحتجازها ولو أنها فعلت لسألها ولو سألها لما أجابت ولو أجابت كان سيتركها..وتمت الخطبة وعزمت ألف مرة على مصارحته ومواجهته بالحقيقة ولكنها لم تستطع وحارت فى سبب إحجامها عن مصارحته هل هو خجلها؟ أم خوفها أن تفقد احترامه ؟ أم اضطرارها لمصارحته أنها ما تزال تذهب لمغتصبيها المرة تلو الأخرى رغم وجود دبلته فى اصبعها؟ أم تراه شكها فى تفتحه واستنارته؟ وعدم تصديقها لصورة الرجل المتحرر التى كان يرسمها لنفسه حتى أنه ناقشها فى الحجاب أكثر من مرة وأنه يرى أنه مجرد عادة لا عبادة وعندما سألته لم اختارها وهى محجبة لم يجد ردا مقنعا يجيبها به. لو كان جاءها قبل ما حدث لكانت أسعد فتاة ولخلعت الحجاب بنفس راضية وضمير هادىء ولكن بعد ما حدث صارت تشعر أن حجابها ضرورة لستر ما انكشف أو ربما مخبأ تخبىء خلفه ضعفها وجبنها وجسدها الذى انتهك غصبا ثم صمتا منها مرة تلو الأخرى..ربما كانت ستتناسى وتعيش الليلة فى سعادة مصطنعة لولا ذلك الحقير علاء الذى تعمد الاتصال بها وهى عند مصفف الشعر وحجته تهنئتها بالزفاف السعيد! ربما كانت ستتسى لو أن عريسها لم يهمس لها على باب جناحهما بالفندق أنه أسعد انسان فى الدنيا لأنه سيكون أول من يعثر على كنز أنوثتها.

الفصل الأخير

.. مرت سنوات على انتصار وعلى مصر .. تم فيها بيع جميع البنوك الوطنية واشتدت شوكة الاخوان المسلمين وتعددت حوادث الاختفاء القسرى للمعارضين .. تمت محاكمة خمسة رؤساء تحرير لجرائد حزبية ومستقلة وتم الزج بأحدهم الى معتقل الواحات بتهمة تكدير الصفو العام . وفى ليما طرة وفى ظروف غامضة تم قتل أحد زعماء المعارضة وأعلنت وزارة الداخلية انتحاره وذلك بعد القبض عليه للمرة الثانية فى قضية تحرش بأنثى.. وفى عام واحد قام المستثمرين الأجانب بتشريد نصف مليون موظف وعامل فى المصانع والشركات وقطاعى الصحة والتعليم وفى نفس العام ولدت انتصار طفلا ميتا وفى الحقيقة لم تكن تعلم أيهما والده زوجها أم علاء.. و خصصت الدولة كل شىء من البنوك إلى وسائل المواصلات ولم يبق فى يدها سوى الجيش والشرطة ووزارة الاعلام التى استغلها نجل الرئيس فى تقديم برنامج يومى يشرح فيه خطته للخروج من الازمة الاقتصادية الطاحنة التى تزيد يوما بعد يوم ويطالب المواطنين بالدعاء لوالده بالشفاء العاجل ولوالدته بالرحمة.. وكان التلفزيون المصرى هو آخر المحطات التى أذاعت خبر اجتياح الجيوش الامريكية لدمشق وإعدام الرئيس السورى ، فقد كان منشغلا بإذاعة بيانات لجنة السياسات وتغطية الحرب الأهلية بين غزة والضفة فى أراضى الحكم الذاتى للعرب فى إسرائيل وعرض الحلقة الثلاثون بعد الألف من مسلسل أجنبي فشل فى الدولة التى أنتجته فشلا نريعا .

وفى خضم هذه الأحداث الجسام زادت الحركات الاحتجاجية والإضرابات التى عمت مصر من الاسكندرية إلى أسوان واستشرى الفساد حتى طالب بعض النواب بإلغاء عقوبة الرشوة من قانون العقوبات.. وبين كل هذه الأحداث تاهت انتصار فى تعاستها الزوجية مع زوج يعانى من انفصام فى الشخصية فهو خارج المنزل مناضل تقدمى وداخل المنزل حيوان تحكمه الغريزة لا مبالاة لديه بمشاعرها بل حتى بوجودها.. ثم اكتشفت خيانتها لها مع احدى فتيات الاعلانات مما فجر داخلها غضبا لا حدود له وجدت نفسها بدون وعى تتصل بعلاء وتذهب إليه .. وفتح لها باب شقته وعلى وجهه ابتسامة ظفر استهتار فى أن واحد وانتابها نفس الشعور بالخوف والغثيان وهى تنتظر إلى وجهه الأبيض اللامع وشعره المحلوق ليظهر شديد القصر .. كان كل شىء فيه يلمع ولم تكن قسوته قسوة حيوانات ولا بدا لها يوما أنه وحش، كانت قسوته من نوع مختلف كقسوة آله حديدية براقه ولامعه تدهس من أمامها بلا رحمة وبلا حتى أى مظاهر استمناح بسحق من أمامه . خانته انتصار زوجها معه وفى الفراش كتبت تقريرا فى زوجها أودى به الى المعتقل مع ثلاثة من زملائه فى حركة 9 مارس ورفعت ضده دعوى تطليق وقبل أن تحصل على الطلاق تعرفت على وائل الصحفى الليبرالى الشاب الذى خرج لتوه من المعتقل والغريب أنها تعرفت عليه جلسة محاكمة زوجها وزملائه وكان هو حاضرا لمساندة أساتذة الجامعة المتهمين أما هى فكانت ذاهبة للتشفى فى زوجها.. ووقعت انتصار فى حب وائل بعدما ساندها فى أزمتها بعد الطلاق ووفاة والدها وفى احد لقاءاتهما صارحها وائل بحبه ورغبته فى الزواج منها حيث نظر إلى عينيها بحب وقال لها:

- ليه يا حبيبتي ما بينا ايما سفر ده البعد ذنب كبير لا يغتفر .. فضحكت انتصار بدلال :

- صلاح جاهين؟

- لا.. ده قلبى

يضحكان سويا وفجأة يباغتها:

- تقبلنى تتجوزينى؟ وارتعدت انتصار عندما سمعت سؤاله ولم ندر لم هل هو خوفها من تكرار التجربة؟ أم شعورها بأنها لا تستحق رجلا فى احترام وائل وهمهم بصوت مرتجف:

- أرجوك اصبر على أنا لسه خارجة من تجربة مريرة .. وصبر وائل عام واثنان بلا فائدة لتقرر فجأة تركه وقد فاجأها هذا القرار كما فاجأه ولم تجد لنفسها مبررا سوى انه لم يمتن كرامتها نعم لقد تغيرت انتصار فقد جعلتها المهانة التي تجرعتها لسنوات شخصا مريضا تستعذب عذابها تستمتع بسباب علاء لها أثناء لقائهما ومعاملته العنيفة لها .. صارت تجد لذة غامضة فى العذاب الذى تشعر فى قرارة نفسها أنها تستحقه ..

وفى أحد اللقاءات الساخنة صارحها علاء بانضمامه الى تنظيم من ضباط الجيش والشرطة يسعى الى قلب نظام الحكم فنظرت له بذهول صامت ليقول لها:

- مستغربة ليه؟ .. همت بقول شىء ما فأجابها قبل ان تسأل :

- أيوه .. هي الجماعة اللي بتوزع منشورات فى مصر من سنتين

- بس ازاي؟ أنت ظابط أمن دولة؟

- أيوه أنا أمن دولة عارفة يعنى ايه ضابط أمن دولة ؟ نتعب ونشقى نفقد كل متعة فى الحياة وتطاردنا الكوابيس بالليل باللى بنعمله بالنهار لحد ما ماتت أرواحنا وبقينا وحوش وكل ده عشان إيه؟ عشان البيه الرقيق المدلل يتولى مقاليد الحكم بعد أبوه؟ طيب ايه اللى بيميزه عنى؟ وامتى تيجى فرصتى بعد عشرين سنة؟ وهابقى ايه فى الآخر لواء؟ وزير؟ الانقلاب ده لو نجح ممكن أوى أبقى وزير من بكره ومش بعيد أبقى رئيس مرة واحدة.

تتسع حدقتنا انتصار فى ذهول غير مصدقة لما تسمعه فيضحك علاء ضحكته المعدنية ويقول:

- فاكرة الصور اللى تم ارسالها للصحافة وكليات التعذيب التى تسربت منذ سنوات عن تجاوزات الامن وكانت تصل احيانا بتوقيع عسكري الدرك؟ نعم احنا اللى سربناها الصحافة والمدونات .. مستغريبش كده عشان كل ده ضرب فى النظام وتجييش لمشاعر الناس عشان يساندونا لما نيجى .. ثم يقول فى لهجة استعراضية وكأنه يقف على خشبة المسرح : تخيلى ضباط ضد التعذيب ضباط يواجهون الضباط والنظام عشان الناس .. تخيلى رد فعل الشعب ؟ دول مش هايجبونا بس دول هايعملولنا تماثيل .. وتلمع عينيه ببريق مخيف وخيل لها للحظة انه قد فقد قواه العقلية وتساءله بحذر:

- مش شايف انها غريبة جدا أنك تكشف لى معلومات بالخطورة دى .. انت؟ انت ناوى تقتلنى مش كده؟ بيتسم علاء فى جزل ثم يقول:

- لا .. مش هاقتلك .. أنا هاتجوزك

استيقظ عبد الجبار من نومه بصعوبة شديدة فقد نام بعد الرابعة فجرا وذلك بسبب كابوس أرقه فى أول الليل كان يتكرر دائما منذ حادث مقتل والده وكان عبد الجبار قد نال ترقية استثنائية والتحق بأمن الدولة بمساعدة علاء بك الذى وعده بترقية ضابطا اذا نجحت الحركة المباركة فى الوصول الى الحكم .. استند عبد الجبار الى جدار الزنزانة التى كان مقيما فيها داخل ليमान طرة وقد كان حارسا عليها وسجانا لمن داخلها يوما ما وهو يتذكر كيف ان الباشا الكبير خال علاء بك والذى كان يشغل منصبا رفيعا فى الحكومة لسنوات طويلة كان أيضا يحضر اجتماعات حركة ضباط من أجل التغيير ويباركها ولم ينس أبدا الحوار الذى دار بين البك الكبير وبين الرائد ناجى حين قال الاول:

- صدقنى يا سيادة الراءد أن النظام يوشك على السقوط وأنا مش عايز أسقط وعايزك تتأكد أننى أدمكم بقوة ومش من المعقول ولا المنطقى أن أشى بكم لأى سبب كان ويكفى أن يقالكم ظهر قوي زيبى فى الحكومة .. وينظر له ناجى باستخفاف ملوحا بيديه قائلا:

- كنت .. كنت قوي يا معالى الوزير بس حاليا الاضواء انحسرت عنك و النفوذ راح من ايديك
- ممكن يكون عندك حق أن الاضواء انحسرت عنى لكن النفوذ لسه فى ايدي وهاتشوف .. يا سيادة الراءد أنا كنت وزير وأنت لسه عيل وفضلت وزير رغم تعاقب ثلاثة رؤساء ويضع يديه على كتف ناجى هامسا بصوت يشبه الفحيح:

- أنا كنت أقوى من الرؤساء وأكثر قدرة على البقاء فى منصبى

- لأنك قوى؟ ولا لأنك بتتلون زى الحرباية باللون اللى يناسب كل عهد من الثلاثة؟

لم يسمع عبد الجبار باقى الحديث لكنه كان مذهولا مما سمعه يومها وغير قادر على استيعاب أكثر من نصف الكلام لكن الحقيقة الوحيدة التى كان يدركها أنه فى طريقه لمزيد من القوة والجبروت طالما يسير فى ركب علاء بك فهو رجل شديد وقوى انه أقوى بكثير من شيخ الغفر .. شيخ الغفر الذى انتقم منه عبد الجبار فقد تزوج ابنته الدميمة بعد طلاقها وأذاقها الويلات كان يتركها كالكلم المهمل فى القرية ولا يزورها بالشهور .. لم يذكر أنه لمسها يوما الا ليضربها .. وكان زواجه بها هو أول خطوات الانتقام من أبى شناف ذلك المجرم الذى قتل أبيه وأمه وأخذ أرضه بالبخص. لم ينس كيف انه عاد الى البلد اجازة لمدة اسبوع نجح خلالها فى تقنيت عصابة أبى شناف فهذا متهرب من التجنيد فيبلغ عنه وذلك عليه ثأر فيدل أهل الثأر عليه هكذا حتى صار شيخ الغفر العجوز وحيدا ومشلولا كان لا يحلو له ضرب زوجته الدميمة ومعايرتها بخلقتها التى تشبه وجه القرد الا امام والدها .. ثم ألقى بالسفاح العجوز فى مضيفة العمدة لكنه لم يطق فكرة بعده عن سيطرته فأعاده بعد شهرين وهو شبه جثة ليدخل عليه ليلا كلما كان فى اجازة ويوسعه ضربا بالسوط وبالحداء .. كم ليلة باتتها ابنة ابو شناف مقيدة وعارية فى شتاء طوبية وسط المواشى فى الزريبة .. لم يترك وسيلة لتعذيب عنوه القديم وابنته الا واستخدمها وفى ليلة شديدة البرودة مات أبو شناف وقبل أن تصرخ على والدها أجبر عبد الجبار زوجته على التنازل له -فى عقود جهزها له علاء بك- عن كل ما تملكه من طين ومواشى حتى الدار . مازال يذكر كيف كان يحرقها بماء النار ثم يكتم الجرح بالملح لتصرخ المسكينة وتبصم على عقد وهكذا حتى جردها مما تملك ثم ألقاها بثوبها المتهاك على قارعة الطريق تتكفف الناس .. وعاد عبد الجبار الى القاهرة مرفوع الرأس بداخله شعور بالارتواء المؤلم وكأنه كان ظمآن لألف سنة ووجد نفسه فجأة فى حوض النيل فشرب نصفه .. ولكنه فوجىء بسكين ينغرس فى بطنه ويطلب بنصبيه من الماء كان ذلك علاء بك يطالب بنصبيه من التركة والاطيان لم ينس عبد الجبار الجشع الذى ظل من عينى علاء وهو يقول:

- عشرين فدان يا عسكري؟ وخمسين راس مواشى؟ انت مش شايف ان الوليمة كبيرة عليك لوحدك؟ وبعدين منتساش انى انا اللى جهزت لك العقود وانا اللى دليتك على الطريق اللى تاخذ بيه حقا

انتفض عبد الجبار غضبا وخوفا فى آن واحد وقال بصوت مقهور ومبحوح:

- طلباتك يا علاء بيه؟. وضع علاء يده على كتف عبد الجبار قائلا:

- شوف يا سيدى أنا مش من هواة المواشى وهاسيبلك الدار كمان .. ثم مال على العسكري الذى تحول وجهه إلى اللون الأزرق قائلا:

- أنا عايز الأرض

وأسقط في يد عبد الجبار .. صمت لمدة لا يذكرها كل ما يذكره هو أنه صرخ فجأة في وجه علاء ولأول مرة منذ زمن يستطيع عبد الجبار نطق جملة كاملة بدون تلثم :

- إلا الأرض يا علاء بك

اتسعت عينا علاء في ذهول ثم صرخ في وجه عبد الجبار :

- نعم يا روح أمك؟ ده لولاي ما كنتش خدت اللي خدته يا غبي

- دى أرض دفعت ثمنها غالي.. دفعت فيها عمرى كله أنا ممكن أراضيك يا باشا لكن تأخذ الأرض كلها ده بعينك

لم يدر بعدها عبد الجبار من أين يأتيه الضرب لكنه خرج من مكتب علاء بك وجسده أزرق اللون من آثار الركلات والضرب بكعب المسدس الميرى وذهب الى عنبر النوم متورما ولم يجرؤ أحد العساكر على الاقتراب منه أو سؤاله عن سبب ما حدث ودخل حسن العسكري الفلاح الذى كان مبهورا بقوة عبد الجبار وقربه من الباشا كان معه كوبا من الشاي قدمه لعبد الجبار الذى احتساه ثم غاب فى غفوة وأفاق على أذان الفجر لم يكن حسن موجودا فى عنبر النوم ولم يكن سلاحه الميرى موجودا أيضا .. تفاصيل كثيرة مرت فى ذهن عبد الجبار منذ محاكمته عسكريا لضياح سلاحه الميرى فطرده من الخدمة ثم اختطافه من الشارع والزج به فى زنزانة الحبس الانفرادى فى ليمان طرة .. لقد كافح كثيرا بل ووضع يده فى يد قاتل أبيه وأمه حتى يصير من الغفر ثم صار من العسكر وفى اللحظة التى ظن فيها أنه بلغ مراده أخيرا وملك الدنيا ها هو الان ملقى فى زنزانة مظلمة مجردا من شرائطه ومن حلتته الميرى

وأشرقت الشمس منقبضة القلب فى ذلك اليوم وكانها كانت تشعر بحجم الكارثة الموشكة على الوقوع كانت مصر قد شهدت خمسة تفجيرات كبرى فى القاهرة وشرم الشيخ وأسوان وانتشرت أعمال البلطجة الجماعية المنظمة وصار المواطن العادى لا يجد حماية إلا لو كان إخوان سواء بالتنظيم أو بالتعاطف، أو أمن إما بحكم الرتبة أو بالعمل لصالح جهة أمنية ما سواء أمن دولة أو أمن قومى أو حتى فى حمى فلان بك أو إعلان باشا.. فى ذلك الصباح تم الإعلان عن وفاة رئيس الجمهورية وتم تحديد موعد لإقامة الانتخابات الرئاسية بعد أربعين يوما وكانت الشروط اللازم توافرها فى المرشحين و التى نص عليها الدستور المصرى بعد عشرات التعديلات التى جرت عليه لا تنطبق إلا على أربعة أشخاص وهم: ابن الرئيس الراحل والذى كان يحمل الجنسية الانجليزية بجوار جنسيته المصرية ورجل أعمال ملياردير و المرشد العام للاخوان المسلمين الذى نجح فى انتخابات برلمانية تم وصفها بالاعجوبة وقتل فيها مئتين وخمسين من كوادر الاخوان والمتحمسين لهم أما الرابع فقد كان مرشحا شابا والده من أقباط المهجر وأمه من يهود اسرائيل..

وقف بيتر عونى مدير مكتب احدى الفضائيات أمام الكاميرا موجه خطابيه للمشاهدين قائلا:

- ان الاسابيع القليلة القادمة هى أخطر مرحلة تمر بها مصر .. ترى هل يصمد هذا الوطن الذى أشرق فيه فجر الضمير أم أن شمس مصر ستغرب فى بحور الحرب الأهلية التى شبت فى الشوارع والحارات حتى فى مزارع الأحزاب السياسية؟ لقد تحول الصراع فى الماراتون الرئاسى إلى قتال فى بعض الأحيان ومن المعروف أن رجل الأعمال الشهير قد تراجع عن الترشح لمنصب الرئيس لصالح صديقه ابن الرئيس الراحل الذى يلقى مساندة الحزب الحاكم ورجال الاعمال ورجال الشرطة .. بينما تقف قطاعات عريضة من الشعب مع مرشد الاخوان بينما لم يقل الجيش كلمته بعد وما يزال موقف الجيش غير واضحا حتى هذه اللحظة وإن

كان وزير الدفاع قد صرح أن الجيش موقفه محايد حتى هذه اللحظة ولكنه سيتدخل إن تم تهديد النظام ولا يعرف أحد متى سيشعر الجيش بالخطر والشوارع تكاد تغرق في بحور الدم؟ أما عن المرشح الرابع فهو مازال شديد الغموض ولم يعلن عن برنامج انتخابي محدد وإن كان يلقى قبولا في أوساط الأقباط ويهود مستوطنة أبي حصيرة الذين بلغ عددهم طبقا لآخر الإحصاءات ألفى يهودى. ترى من منهم سيحكم مصر؟ وتنزل التيارات لتعلن نهاية الحلقة وينزع البيتر السماعه من أذنه فى نفس اللحظة التى يقتحم فيها الاستديو خمسة رجال مسلحين يرتدون الملابس الميرى ويتقدمهم ناجى ضابط الجيش فيسألهم بيتر مندهشا:

- ايه ده ؟

ويجيبه الضابط بابتسامه عريضة:

- الجيش قال كلمته

كانت جماعة ضباط من أجل التغيير والتي انضم لها مؤخرا وزير الدفاع نفسه قد استولت على كل استديوهات التلفزيون المصرى ومعظم مكاتب الفضائيات العربية والاجنبية فى مصر وتولت العناصر القليلة التى تنتمى الى الشرطة وبمساعدة ألوية من الجيش القاء القبض على كبار رجال الداخلية والجيش وتصفية بعضهم جسديا كما استولوا على الكثير من أقسام الشرطة وأحكموا قبضتهم على العساكر والاسلحة بل واستعانوا ببعض المحتجزين فى هذه الاقسام بحجة انهم جاؤوا لانقاذهم من التعذيب والامتهان وكان النمنم ذلك النشال السابق محتجز فى قسم الشرطة بتهمة نشل محفظة أمين شرطة وخرج من الحجز سعيدا بالثورة وهم بالنقاط سلاح من السلاحليك لينضم للضباط الاحرار كما سماهم عندما اصطدمت عينه بعلاء بك ضابط أمن الدولة الفاسد الذى حقق معه والصق به تهمة التظاهر التى ألفت به فى ليما طرة وقتها عادت الذاكرة بالنمنم إلى المعتقل وتذكر وائل الليبرالى الذى قال له يوما ردا على سؤاله حول إمكانية أن يحكم الجيش ويصلح الحال مثلما فعل الضباط الأحرار وقتها ضحك الاستاذ وائل ثم قال للنمنم:

- الجيش من الممكن أن يحمى ديموقراطية موجودة بالفعل لكنه لا يصنع ديموقراطية ولا يمارسها .. وقتها لم يفهم النمنم حرفا واحدا مما قاله أستاذه ولكن وجود علاء أمامه لم يريجه فأثر الفرار إلى منزله فى الدويقه والاختباء هناك ولكنه لم يكذب يصل إلى هناك حتى فوجيء بعدم وجود منزله ولا عشرين منزلا مجاورين له وعندما رأى الكتلة الصخرية الضخمة تحتل مكان البيوت المختفية حتى علم أن ما حدث فى 2008 قد حدث مرة أخرى وتذكر خيبة الجيش وقتها وكيف أن الأهالى كانوا يحفرون الانقاض بأظافرهم بحثا عن ذويهم.. ولكن هذه المرة لم يكن هناك أهالى ولا خيام وهام نمنم على وجهه فى شوارع المحروسة وهو يسب ويضحك بهستيريا:

- أموت واعرف مين ابن المتضايقه اللى سماها محروسة .. دى موكوسة .. مهروسة..

وقادته قدماه الى منزل وائل زميل المعتقل المتقف دق جرس الباب فتح له وائل الذى كانت عيناه مغرورقتان بالدموع وخلفه شاشة تلفاز تعرض مشاهد القتال فى الشوارع ألقى نمنم نفسه فى أحضان وائل وقال بصوت تخنقه الدموع:

- مين اللى سماها محروسة يا أستاذ ؟ أموت واشوفه ابن الوسخة.. وانخرطا فى البكاء سويا..

..خرج بيتر من الاستوديو والذهول يعتربه ، لطالما كان رأيه أن النتيجة الطبيعية لما حدث في مصر طيلة السنوات الماضية هو انقلاب عسكري لنظام الحكم أو ثورة شعبية يركبها الاخوان المسلمون لكن أن تتوقع شيئا غير أن تراه بعينك، وما حدث على أرض الواقع لم يكن مجرد انقلاب بل كان انقلابا دمويا عنيفا مصحوبا بحركة اعدام لمعظم رموز الحكم في العهد السابق، انقلاب لم يأت إلا بعد ثورة للجياح اندلعت في شوارع مصر كانت ثورة أشع في ضراوتها من الثورة الفرنسية .. وفجأة انتزع بيتر من أفكاره انتزاعا على جذع شجرة يلقى في طريق سيارته ويجبره على التوقف. وترجل بيتر ليجد نفسه محاصرا من مجموعة ممن كان يسميهم قبلا بالجياح كانت رؤيتهم عن قرب ونظرة الجوع والحقد تتملكهم.. كان منظرهم مرعبا لبيتر الذى عاش عمره فى أمريكا فى رفاهية ورخاء .. كانت أظافرهم متسخة وطويلة وشعورهم غير مصففة ومن بينهم كانت امرأة لم يتبين جمالها من قبحها من ذلك التراب الذى غطى وجهها .. اقترب أكثرهم ضخامة من بيتر وأمسك بياقة قميصه الذى بلله عرق الخوف والحر وهزه بعنف قائلا:

- الأمور ابن مين فى البلد بقى؟ ارتجف بيتر وازدرد لعابه فى بطنه دون أن يستطيع الرد وهاجمه آخر وراح يفتش فى جيوبه حتى وجد محفظته فأخذها وراح يعد النقود التى بها وهجم عليه جائع ثالث وهو يلهث:

- ده لابس سلسله ذهب

وانتزع السلسه وراح ينظر لها فى سعادته بينما صرخت المرأة :

- ايه ده ؟ ده صليب .. الجدع مسيحي

اعتصره الضخم فى قبضته قائلا:

- انت وقعت ولا الهوى رماك .. والتفت ناظرا إلى من حوله :

- تلاقىه ابن الجدع ده اللى اسمه ساويرس .. ثم نظر إلى بيتر متوعدا:

- ده انت وقعة أمك سودة

وانهار بيتر باكيا :

- لأ .. أرجوك شوف انا معايا كريدت كارد وخدوا العربية .. وخلص الساعة قائلا:

- والساعة دى تمنها خمس تلاف جنيه خدوها مش عايزها بس سيبوني أروح ..

وضحكت المرأة ثم اقتربت منه قائلة:

- والنبي حلو واسمرانى .. ثم اقتربت منه أكثر هامسة:

- ما تسلم واتجوزك يا عسل

وانهار بيتر على ركبتيه غير مصدق لما يحدث عندما انقضت عليه المرأة ثقيله فضربها الضخم ثم استدار إلى بيتر وأوسعه ضربا بمشاركة الآخرين حتى طرحوه أرضا بين الوعى والإغماء وأخذوا السيارة وفرروا بها بعيدا.. وظل بيتر يرتجف من الألم والصدمة ولم يدر كم من الوقت مضى عليه وهو فى هذه الحالة حتى استطاع أن يستجمع قواه وينهض ليكتشف أن وسيلة المواصلات الوحيدة المتاحة أمامه حتى المنزل هى قدميه وكان الاكتشاف فى حد ذاته مرعبا ولكن لم يكن أمامه اختيارات وبدأ الرحلة التى شاهد فيها العجائب ، جثث فى الشارع فاحت رائحتها دون أن تجد من يدفنها ، شعارات ضد ابن الرئيس وضد الحكم والحزب الحاكم على الجدران، منشورات ملقاة على قارعة الطريق تدعو الناس للتوحد خلف راية الإخوان ، ودبابات تسر فى الشوارع بدلا من السيارات وأوتوبيسات النقل العام، مصاحف ممزقة وملقاه على الأرض وراهبة مقتولة ونصفها السفلى ممزق بكل ما تحمله الكلمة من

معنى وفي منتصف الطريق انتابته حالة من الرعب عندما رأى مجموعه من الملتحين ذوى الجلايب البيضاء يقتربون من راهبتين وقفنا تنتحبان جوار جثة زميلتهم ، فقفز إلى صندوق كبير للقمامة كان فارغا حيث نبشه الجياح وأخرجوا كل ما فيه وأخرج عينيه ليراقب ما سيحدث ورسم صليبا على وجهه وصدره ودعا الله ودعا الله أن يسامحه لأنه لن يساعد هاتين الراهبتين ولكنه فوجيء بهما تخرجان مسدسان وتطلقان الرصاص على الرجال ذوى الجلايب البيضاء.. كان ما يراه ضربا من الجنون لم يصدق عيناه لم يصدق كل ما سمعه من قبل عن التعصب والفتنة فى مصر، فقط كان يصدق إن كانت الضحية من الأقباط، فقط كان يصدق عندما يكون الجانى من الازهابيين الاسلاميين. عندما جاء إلى مصر بصفة شبه دائمة للعمل والإقامة جاء بحبه للبلد وإيمانه أن الأقباط مضطهدون فيها وبأنه نصف خواجه وهو ما يجعله مميزا عن يعيشون فى مصر من المسلمين أو حتى من أتباع المسيح وظل قرابة نصف الساعة مختبئا فى صندوق القمامة وعندما شعر بهدوء نسى فى الشارع قفز إلى الخارج وراح يعدو بكل قوته فى اتجاه منزله فى المهندسين وعندما وصل اندفع إلى المصعد وبمجرد أن أغلق باب المصعد انهمر فى البكاء وتوقف المصعد وبمجرد أن خرج بيتر منه اصطدمت عيناه بباب شقته وقد انفتحت على آخره واصطفت بعض أغراضه فى كرتين مفتوحة وتوجه ببطء نحو الشقة والخوف يعتريه وقد ثيقن أن ثمة من اقتحم شقته وفى نفسه قال :

- مش مهم. ياخدوا اللى ياخدوه المهم يسيبوا السرير

وسمع صوت البواب فاطمان وخطر له أن البواب قد طرد المقتحمين ودخل الشقة ليجد زوجة البواب تمسك فى يدها اليمنى مكواة وفى اليسرى خلاطا وراحت تتادى على زوجها :

- متنساش الانسلال الذهب أبو قلوب والمادالية الحلوة دى الالماظ والا ما ادري البلايتيه
وصرخ بيتر :

- انتو بتعملوا ايه يا حيوانات؟

وصرخت زوجة البواب لياتى زوجها وفى عينيه نظرة تفيض كرها واستهزاء فى ذات الوقت:

- انت شرفت يا خواجه؟؟

أشار بيتر بيديه إلى الباب :

- امشى اطلع بره انت والحيوانة دى

- نطلع بره؟ نروح فين؟ دى بلدنا.. انت اللى تطلع بره يا مستر بيتر

وانقض عليه بيتر ولكمه فى أنفه صارخا :

- انا قلت تطلع بره ببقى تطلع بره .. fuck you

- انت هاترطن بالانجليزى يا ابن المجنونة ؟

وهجمت زوجة البواب على بيتر وأوسعته ضربا ثم تناولت المكواة وقذفتها فى وجهه لكنها أخطأت التصويب فجاءت فى رأس زوجها الذى استشاط غضبا:

- ملكيش دخل انتى يا مرة

وطرح بيتر أرضا وراح يخنقه بقسوة حتى كاد يلفظ أنفاسه الاخيريه ثم تركه قائلا:

- أنا هاسيبك تمشى ومش هاموتك بس حسك عينك ترجع تانى انت فاهم؟؟؟؟ ثم حمله حملا وألقاه خارج الشقة وأغلق الباب ووقع بيتر على وجهه أمام شقته وراح يعبث بالكرايتين المصطفة خارج

الباب وأخذ منها بعض الأغراض على عجل وغادر الشقة والبنابة كلها وفي طريقه وجد إحدى الفيلات المهجورة فقفز الى داخلها وبدأ في فرز الأغراض كان هناك قميصان وبلوفر شتوي وحقيبة صغيرة بها بعض الأوراق وكان على السطح ملف بعنوان " اضطهاد الأقباط في مصر " وابتسم بيتر في سخرية ثم تناول أول ورقة وراح يعيد قراءتها مرات عديدة فاليوم يراها بمنظور جديد يجعله يدرك كم كان غيبيا ومضللا قبل ذلك وبدأ يقرأ الرسالة بتأني للمرة الثالثة وكان هذا نصها:



احمد المسلم ذبح شريكه القبطي روماني راجي عبده باسوان

ومازال مسلسل اضطهاد و قتل الاقباط مستمرا لاجبارهم علي الدخول في الاسلام او يقتلون علي يد الجماعة الارهابية الاسلاميه في كوم امبو في اسوان و بسبب بعض شيوخ الازهر فهذه هي نتائج و ردود افعال تعاليمكم علي الشباب المسلم فيعتقدون ان كل المسيحيين كفره و يجب ان يدخلوا في الاسلام او يقتلوا و اقربها البارحه الشيخ محمد اسماعيل قال ان المسيحي لو مات في القتال لا يعتبر شهيدا و لايدخل الجنه ===== الخ و لكن عشمي الان في القضاء المصري غير الوهابي انظروا الي حميه و غيره القاضي في الشرقيه للسيد المسلمه التي اغتصبها ١٠ مسلمين و اصدر حكما باعدامهم جميعا فهل يا تري نامل في حكم مماثل و عادل من القضاء المصري لاحمد القاتل المسلم للمسيحي روماني من كوم امبو اسوان لكي يجبره علي الدخول في الاسلام فرفض فقتله ارجوكم ارجوكم نهضه مصر و تقدمها و وقف هذه الاعمال الاجراميه في يد القضاء الان لا نريد قاضي ينخدع باقوال زائفه من المحامين او يميل الي تصديقهم و يصنق الادعاء الكاذب بان روماني كان علي علاقته بزوجه احمد القاتل اظن شعبنا من هذه الفكره كما حدث في دفش بالمينيا من الحكم علي المسلم قاتل الشاب المسيحي بسنه سجن مع وقف التنفيذ ارجوكم يا قضاة مصر اوقفوا سرطان الفتنة الطائفه باحكامكم العادله

كلما قتل قبطي قال لة محامي الشياطين قل انه كان علي علاقة جنسية مع امي او اختي او زوجتي او ابنتي

وكان الاقباط ناقصين نسوان او كان نساء المسلمات هكذا في منتهي السهولة ثم ياتي قاضي القت بة الظروف السوداء والجهل والتاخر والتعصب الاعمي الي اقدس مكان وهو كرسي القضاء المقدس فيحكم كالايمي تسوقه غباوتة وتعصبة وانا لا القي الاتهامات جزافا افيدونا يا اهل الخير كم قاتل مسلم تم تنفيذ حكم الاعدام فية ؟ الم يقل قاضي الظلم للمنتصرة مرثا لو معي سكين لنبحتك يا للفضيحة يا مصر الي اين ذهب بك مبارك والي اين سيذهب ؟ هل الي المحكمة الدولية ام الي خراب مصر ام الي نهاية مصر المحتومة نحن نتق في عدل الله هل تذكروا ايام استخدمتم الكيماوي لقتل الشعب اليمني بعدها كانت فضيحة TV وهل نسيتم ماذا حدث بعد مذبحه الكشج ؟ الم يحرق الرب قطارا بمن فية الم تغرق عبارة بمن فيها يا مسلمو مصر خافوا من يوم تقولون فية للجبال انطرحي وغطينا ويا اكام اهبطي علينا من وجة الله العادل الجالس علي العرش واقول لاهلي الاقباط لا تخافوا ولا ترتاعوا نموت بالسرطان بالمرض بالحوادث لا يهم ولكننا سنموت رجالا وعلي اسم سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح نحيا ونموت اما اولاد الاثم والهالك فهم للهالك يدعون وليتمجد اسم الرب ولتكن اجسادنا ذبيحة حية لمجد اسمة للابد وكما قال موسي النبي العظيم (قفوا وانظروا خلاص الرب) يسوع قريب

الي اسرة الضحية والي كل قبطي فوق العالي عليا وفوق المتسلط متسلطا وفوق الكل واحد هو الله لقد تفرعن الارهابيين بسبب خوف الحكومة منهم بل وتعاونها معهم في الاهداف وترك الحبل علي الغارب لهم في اتفاقيات علي حساب الاقباط ولم يعرفوا ان عدل الله لا يهتز ليقروا سفر اشعياء ماذا سيفعل الرب في كل فرعون وكل متفرعن قريبا سنراكم تبولوا امام صغيرات جيش دفاع اسرائيل وتبكوا وتتباكوا للمجتمع الدولي طالبين الرحمة والعفو والرضا وتفرعنوا علينا نشكوكم الله الي كل مسلم في المنتدي هل تتوقعوا ان يكون راينا في الاسلام ايجابيا؟؟ وانتم تقتلوا اهلنا وتحرقوهم نشكوكم انتم وما توعمنون بة الله الحقيقي العادل

رئيس الجمعية الوطنية القبطية الامريكيه

.. أقام علاء وانتصار حفل عشاء عائلي في أحد المطاعم العائمة بالزمالك بمناسبة زواجهما وبعد انتهاء الحفل اصطحبها إلى شقة خالها في الحي الراقى حيث استقر رأيه على أنها أنسب مكان لعش الزوجية ، أنسب بكثير من شقته في حي فيصل ومن الإقامة مع أمها التي صارت وحيدة بعد وفاة والد انتصار ودخلا الشقة في صمت فتح الباب ودخل إلى غرفة الجلوس أضاء النور وجلس ، وأغلقت انتصار باب الشقة ودخلت خلفه متأمة من تجاهله وازدرائه ولكن - ولدهشتها - شاعرة بنشوة لا تعرف لها وصفا تلك اللذة التي صارت تشعر بها في كل شيء يحدث لها على يد علاء من إهانات وضرب وممارسة عنيفة في الفراش .. تلك اللذة المريضة التي تدفعها دفعا إلى الاستحمام بماء ساخن لدرجة الغليان أحيانا .. كم أحببت وائل ولكنه كان وديعا لدرجة مقرزة ، رقيقا إلى حد يصيبها بالغثيان ، لو أنه فقط كان قاسيا معها قليلا، لو أنه لم يحترمها بهذا الشكل، لو أنه قابلها قبل كل ما حدث لها..

- بتعلمي ايه يا مدام؟ هستناكي الليل بطوله ولا ايه؟

انتزعها صوت علاء من خواطرها فخلعت حجابها وألقته على الأرض وهرولت إليه وهمت بخلع الفستان لولا أن أوقفتها نظراته المستهتره الباردة وهو يقول :

- أنا مليش نفس.. زى ما تقولى كده نفسى غامة عليا .. ثم وضع ساقا فوق الأخرى وسألها:

- عندنا إيه يتاكل؟ أصلى جعت والعشا مكانش أد كده فى الأوتيل
 انهارت انتصار على أقرب مقعد وقد أصابها الاحباط وقالت بحذر:
 - بس انت أكلت كويس هناك .. ده انت اكثر واحد أكل
 - انت هاتعدى عليا الأكل يا روح امك.. قومى ومتورنيش خلقتك غير لما السفرة تكون جاهزة ..
 وقامت انتصار إلى المطبخ وراحت تعد الطعام وجاءها للمرة الألف نفس الخاطر أن تتناول سكينها
 حامية وتذبحه بها ذبحا لكنها تذكرت آخر مرة فعلتها وكيف انهار كرهها له أمام كرهها لنفسها
 فألقت السكين وانهارت تحت قدميه ليوسعها ضربا.. لظالما كرهت نفسها منذ طفولتها كان والدها
 غاضب عليها باستمرار لم يحدث أن أخطأ مرة واحدة وأخذها فى حضنه ، كان يوسعها ضربا لأتفه
 الأسباب وشبت كارهة لنفسها معتقدة أن كل ما تفعله بنية حسنة ينقلب عليها وعلى من حولها شرا ،
 لم تكن راضية عن نفسها كانت تقف بالساعات أمام المرآة وتفكر ماذا لو كانت أقصر قامة ؟ لماذا
 تكون بهذا الطول الذى يجعلها لا تجيد الاختفاء وان حاولت؟ ولماذا لم تكن بشرتها أفصح من ذلك ؟
 حتى جسدها الفائت كانت تعتبر بروزاته عيوباً واستدارته عاهة.. وحده خالها كان يعطيها بعضاً من
 الثقة وقليلاً من الاحترام لذاتها .. لم تشعر يوماً بالاشباع كانت فى داخلها جائعة ولا تدرى ما الذى
 يمكنه أن يشبعها ويطمئن خوفها المسعور الذى كان يأكلها من الداخل عما تلو الآخر دون أن ترى
 له مبرراً منطقياً منذ صغرها كانت تعاقب نفسها بالامتناع عن الطعام وبالبكاء وعدم النوم الا انها
 صارت عنيفة مع نفسها بعد أن عرفت علاء وذاقت الأمرين على يديه وعلى يد عبد الجبار ذلك
 العسكرى المقزز المتوحش كالحيوانات.. كثيرا ما سألت انتصار نفسها هل يعقل أن يكون هناك بشر
 بهذا التوحش ؟ لم يكن لدى عبد الجبار كلمات بل لكلمات لم تكن لديه مشاعر بل انفعالات يفرغها
 فى جسدها وهى راضية ، كانت تبكى بين ذراعيه ويدخلها رضا لأنها تؤمن ان هذا هو ما تستحقه
 فهى لا تستحق حنانا ولا حبا ، كان داخلها هاجس يؤرقها أنها مثل عبد الجبار حيوانة لكن الله وضع
 الحيوان بداخلها فى قالب جميل من الأبوثة الفائرة . الشيء الوحيد الذى جعل انتصار تشعر فى
 مرحلة من مراحل عمرها بالاحترام كان عملها فى السياسة لكن المفارقة التى تضحكها أن عملها فى
 السياسة كان هو ما جر عليها كل هذه المآسى المروعة، وهو ما جعلها تكره مصر وتكره أهلها فقد
 اكتشفت من خلال قريتها من المعارضة أن معارضة مصر أسوأ من حكومتها وأن المسألة لا تتعدى
 كونها حسابات مصالح فهناك من رأى مصلحته مع النظام وهناك من اكتشف أنه فى المعارضة
 يكسب أكثر وفى النهاية كانت هى وغيرها من المغفلين الذين صدقوا الشعارات الجوفاء ضحايا لهذه
 المهزلة السياسية. وخرجت انتصار بالطعام ووضعته أمام علاء الذى ابتسم قائلاً فى مرح له بريق
 المعادن:

- ما تيجى نلعب لعبة جديدة .. نظرت له انتصار فى شغف وابتلعت ريقها فى صعوبة وقالت:
 - أنا تحت أمرك
 - أنا ارميلك الأكل على الأرض وانتى وطى وكليه من غير ما تستعملى ايدك خالص ولو استعملتى
 ايدك هاجلدك بالكرباج السودانى الجديد

وهزت انتصار رأسها بالموافقة فألقى لها بقطعة لحم بعد أن داس عليها بالحذاء وعندما همت انتصار
 بالنقاطها داس بحذائه على رأسها لتتأوه فى ألم يشعرها بالاشباع المهين وفى داخلها انحدرت دمعها ساخنة

عندما تذكرت ما قاله لها وائل فى أحد لقاءاتهما عن أبطال المعارضة أيام العهد البائد - كما يسميه علاء - كان وائل يقول لها:

- يا حبيبة قلبى انتى بريئة ومش فاهمة الموقف فى أوساط المعارضة.. مش بس جوزك اللى بيعيش فى ازدواجية.. المعارضين كلهم كده اللى يتشهر منهم ويبقى بطل اعرفى انه أكثرهم استفادة من المبادئ وان المخلص الحقيقى بيضيع عارفة ليه يا حبيبتي؟! لأن فى مصر البطولة بأجر والاستشهاد مجاناً.

استقل عماد سيارته الفارحة فى فخر وتوجه إلى مقر محكمة الثورة التى تم اختياره فيها كقاضى للحكم فيما يسميه رأى العام بقضايا التصفية أى تصفية أذئاب العهد البائد والنظام الفاسد.. وقد خرج عماد من منزله وقد عقد العزم على أن يصفيه واحدا واحدا فهى فرصة عمره لكى يصبح بطلا قوميا كما كان يحلم فى مراهقته ، ذلك الحلم الذى نسيه مع عمله فى النيابة وزواجه بامرأة تفتقر إلى الأنوثة، كل مقوماتها أنها ابنة مستشار كبير ومسئود مع الوقت بدأ يشعر أنه صار بطلا بحق مع الثروة والنفوذ.. ورغم شعوره بالحنين للحلم القديم إلا أن عقله كان يفيقه فى اللحظة الأخيرة كى لا يضيع كل ما كسبه وصل اليه ، وبمجرد وصوله إلى المحكمة جلس مزهوا بنفسه شاعرا بالعظمة والارتواء وكاميرات التلفزة موجهة إليه وهو يحاكم ابن الرئيس السابق وعصبته وبالطبع جاءت الأحكام رادعة ما بين اعدام ونفى ومصادرة أموال.. وكتب بيتر فى مذكراته عن أحكام محكمة الثورة قائلا:

" كانت أحكاما باردة مزيفه رغم حدتها الظاهرة ..أحكام لم تأت من غضب حقيقى بل جاءت من نفوس أمارة بالسوء كل ما كانت تسعى إليه هو مزيد من الشهرة والفرقة الاعلامية . كانت الجلسة التى يرأسها مستشار ذو ميول إسلامية تصدر الأحكام جزافا على كل علمانى أو يسارى حتى وان كان متدينا فى حياته الخاصة وكانت الجلسة التى يرأسها مستشار من محكمة أمن الدولة فى العهد البائد تسفك دم أى شخص كان له علاقة ولو سطحية بالحزب الوطنى أو بالحكومة المخلووعه وكأنهم يطهرون أنفسهم بدماء الآخرين من تهمة الدياثة السياسية فى العهد الماضى، وفى كل جلسة كان هناك مندوبان من الجيش أو بعض قطاعات الشرطة يسجنان رئيس الجلسة بينهما وكأنهما ناكر ونكير، كانت أحكام الثورة حق يراد به باطل وخير أتى على يد رجال امتهنوا الشر عقودا طويلة من الظلم والظلام.. ليت كل رجال الثورة كانوا مثل ناجى ذلك الضابط الوسيم الجريء الذى يتمتع بقدر كبير من الصدق والمحبة للوطن، كان ناجى مسلما مخلصا ومصريا صادقا لكنه ذهب بلا رجعه فمثله لا يعيشون فى وطن صار مرتعا للذئاب ولكن أنى له أن يستمر فى ثورة اقتسمها الجيش والأخوان فقسموا ظهرها وقلبوا حقها باطلا ثم انقسم الاخوان وأقاموا محكمة القيم .. أول محكمة لا تتعقد لها جلسات ولا يدافع فيها المتهم عن نفسه والحكم فيها ينفذ فوراً وبلا تريث.. حتى غرقت مصر فى بحور الدم من جديد بعد هدوء نسبي لم يدم شهورا قليلة" .. كتب بيتر هذه السطور قبل أيام من مطاردة نفس المحكمة له بدعوى أنه من المبشرين وعملاء الاستعمار الكافر وأنه جاسوس للولايات المتحدة الأمريكية ولدولة اسرائيل وبالطبع لم يفت الإمام الاكبر للجماعة وهيئة العلماء أن يهدروا دمه، وبعد أن وجد بيتر أن استمراره فى الدير صار خطرا عليه بعد أن صارت الجوامع والأديرة ساحات للحرب الأهلية ولتصفية العناصر المارقة من أتباع الديانتين على

حد سواء ، وبعد أن صدر له كتاب عن عظماء الاسلام وذلك بعد ان دعتة الفتنة الى دراسة الدين الاسلامى داسة وافيه جعلته يتحول من احتقار الاسلام الى احترام تعاليمه وجعلته يفرق تماما بين من يراهم من المسلمين فى الشوارع يقتتلون على اھون سبب ويكفرون الآخرين وبين الاسلام وهو ما كان كفيلا بإهدار دمه من قبل بعض رجال الكنيسة وتهميشه من قبل جماعات أقباط المهجر فلم يجد لنفسه ملجأ إلا عند وائل الذى تحول منزله الفاخر الى ملجأ للمطاردين والمغضوب عليهم من بيتر المصرى الأمريكى إلى النمنم اللص البسيط الذى صار وطنيا بالصدفة.. إلى عبد الجبار ذلك العسكرى الذى بطش بهم فى المعتقل قبل ذلك وصار كسيرا ذليلا لا حول له ولا قوة . فى هذا البيت قضى بيتر أسعد وأعلى أيام عمره ، فى هذا البيت صار بيتر مصريا مصريا بعد أن تخلص من رواسب التفوق الأمريكى ونزعة التكبر والفخر التى كانت تملأه عندما يناديه الناس: يا خواجه ولأول مرة يأكل بيتر الفول المدمس والكشرى ولأول مرة أيضا يبكى من اجل مصر وعلى حالها فقد صار يحبها كوطن بعد أن كان يحبها كبلد سياحى يقضى بها اجازاته ويفتخر أمام الأمريكان بأنه حفيد تلك الحضارة العظيمة ثم يعود فينكر صلته بمصر المعاصرة أمامهم. أصبح بيتر ينزعج لو أخطأ النمنم وناداه بكلمة خواجه ويضحك من قلبه عندما يمسك عبد الجبار بالنمنم ويوسعه ضربا على قفاه عندما يسرق الأخير الخبز من تحت مخدته. كم تمنى لو أن تلك الأيام تدوم وتزول الغمة عن مصر ، كم مرة حسد فيها وائل وهو يحكى عن طفولته فى رمضان وعن الفوانيس والكنافة وألف ليلة وليلة والفوازير، حتى النمنم اكتشف بيتر انه قضى أوقاتا سعيدة وساحرة فوق سطوح بيتهم فى الدويقة وعند أصدقائه فى الحسين والسيدة عيشة وعن حفلات شعبان عبد الرحيم وأغانى شفيقة التى كان يحب عليها توحة بنت الجبران التى ماتت محروقة بعد انفجر فى وجهها وابور الجاز.. وجد بيتر نفسه واكتشف انه كان يحيا حياة شخص غيره لا حياة تليق بمواطن مصرى ..ولكن للأسف كان يشعر وكأنه ولد تائه تعرف على أمه بعد موتها فما الذى سيفعله الآن وقد صارت شوارع مصر ملتهبة وقاسية وفى داخله شعر بالندم لأنه لم يأكل ترمس على شاطئ النيل ولا تذوق القطائف فى رمضان ولا واظب على حضور الكنيسة كل أحد حتى عندما اختبأ فى أحد الاديرة لم يقرب الصلاة ولم يشعل شمعه واحدة.

أما عبد الجبار فقد كان نادما على شىء واحد فقط ..أنه لم يستجب لعلاء بيه. كان دائما يؤنب نفسه على غيبائه الذى ضيع منه كل شىء فى لحظة غياب وعند لقد عاش عمره كله لا يقول سوى نعم وحاضر وأوامر سعادتك ، وعندما قال لا للمرة الوحيدة فى حياته خسر كل شىء. صحيح أن وائل كان يعامله معاملة حسنة وأن النمنم وبيتر تقبلوه وعاملوه بلطف لم يشاهده فى حياته من قبل إلا أن كل هذا لم يكن يرضيه. كان شبح الخوف يحوم فوق رأسه وهو يتخيل فرقة من الجيش أو مجموعته من الأمرين بالمعروف يقتحمون بيت وائل ويعدمونهم جميعا بلا رحمة .. كان متيقنا فى داخله ان ذلك سيحدث ان أجلا أو عاجلا وهو لم يكن يريد الموت بل كان الانتقام هو الشىء الوحيد الذى يتحكم فيه، رغبة شديدة فى الانتقام من أى شخص وبأى وسيلة كان وائل فى نظره رجل ثرى لا يدرى أين ينفق نقوده أما بيتر فهو خواجه يعانى من فراغ قاتل يريد ملأه بالأحداث الدامية والنمنم مجرد شخص حقير كأهل قريته الذين أدمنوا العيش فى القذارة كالخنزير، يقبلون بالفتات ويضحكون على خبيثتهم. لقد سقطت من عبد الجبار أشياء كثيرة فى رحلته لكن شيئا واحدا ظل ملازما له كظله يجرى فى عروقه الصعيدية .. الثأر ، ذلك الحلم الذى يؤرقه ليلا ويعذبه نهارا لدرجة أنه كلما رأى الشوارع تفيض دما وتشتعل عنفا كان يشعر بالارتواء ولذلك لم يتوقف عن ضرب النمنم حتى بعد أن صاروا يتشاركان الفراش واللقمة ولم يحب بيتر

رغم معاملته الحسنة ووجهه البشوش ولا شعر أنه يمكن أن يأتى عليه اليوم الذى يخدم فيه وائل كما كان يخدم علاء بك ولذا لم يتحمل عبد الجبار البقاء فى بيت وائل أكثر من ذلك، وذات صباح استيقظوا ولم يجدوه بينهم، الغريب أنهم حزنوا لفراقه فالنممن بكى كثيرا وقال انه كان يؤنس وحدته فى الليل وكان يستمع بلا ملل لحديثه الذى يستمر حتى الصباح .. لم يكن النممن يعلم أن قدرة عبد الجبار على الاستماع لم تكن نابغة من طيبة قلبه ولا من اهتمامه بالنممن وثرثرته ولكنها كانت عجزا عن إقامة حوار وإعاقعة نفسية تمنعه من التفاعل مع الآخرين لذا لم يكن لديه حل سوى أن يترك النممن يثرثر ويثرثر. أما بيتر فقد شعر بالذنب لأنه كان متشككا فى عبد الجبار متوجسا منه خيفة وظن بيتر أن عبد الجبار قد أحس بربيته فأثر الابتعاد. وغرق وائل فى نوبة قلق عميق على مصير عبد الجبار لو ظل وحده فى الشارع أو لو التقى بعلاء وراه خارج السجن. لكن أحدا منهم لم يعرف إلى أين ذهب حتى النممن ذهب ليجت عنه وعاد بعد ساعات سفر اليمين لم يكن أحد منهم يعلم أن عبد الجبار لديه مكان آخر يذهب إليه . مكان قد يحقق فيه ما يصبو اليه منذ زمن لقد ذهب إلى سامى ذلك المعتقل الذى كان طالبا فى كلية الطب وقد تخرج وصار طبيبا مرموقا ومن مراكز النفوذ فى جماعة الإخوان التى سيطرت على نصف مصر بعد الانقلاب الذى تم فى أغسطس، وكان سامى هو من اقترح اطلاق سراح عبد الجبار بل وقابله بعد خروجه واعطاه أرقام تليفوناته وعنوان مكتبه وهو نفسه الذى أعطاه هاتف وائل ليتصل به وينزع فى بيته بصفه مؤقتة حتى يؤدى الدور المرسوم له بدقه وقد فعل وعندما وصل إلى مكتب سامى بعد أن ترك منزل وائل كانت أمامه مهمة أخرى كلفه بها سامى وأقسم عليها عبد الجبار أمام مجلس العلماء فى مشهد مهيب كان بدنه ليقتشع من هيئته لولا أنه لا يؤمن أصلا بوجود إله ولا بفائدة الدين ، إنما كان قسمه صادقا لأنه يوافق هوى نفسه التى تجنح للانتقام . لقد كان عبد الجبار هو الوحيد الذى يعرف أسماء وعناوين وتحركات وخطط الضباط الذين كونوا نواة الانقلاب وكان علاء منهم ، أخيرا اقترب الثأر الكبير.. ولم يضيع عبد الجبار وقتا بل ذهب لتوه الى مكتب غريمه علاء بك وبمجرد أن سمع علاء اسمه شعر بذهول وغضب ولكنه سمح له بالدخول ليدخل عبد الجبار مندفعا وينحنى أمام علاء ويحاول تقبيل يده متصنعا البكاء متلعثما يستعطفه :

- س... سامحنى يا علاء ب... بيه أنى ك...كلب وجزمة

ويمسكه علاء من تلايبه ويضربه على قفاه :

- انت طلعت ازاي يا حيلتها؟ وعرفت طريق مكتبى منين يا روح امك ؟

- و..و هو مكتبك حد يتوه عنه يا باشا؟

ثم انحنى عبد الجبار وقبل حذاء علاء الذى أمسك به ودفعه إلى الحائط بعنف سائلا إياه:

- امشى يا باللا وحسك عينك اشوف خلقة القرد دى تانى

وبعد رجاء ومذلة نجح عبد الجبار فى اقناع علاء بأنه سيصبح كلبه المخلص مرة أخرى وأنه تاه بعده ولم يجد له مأوى وأنه على استعداد لفعل أى شىء فى خدمته حتى لو كان سينظف له المنزل ورن جرس الهاتف ليرد علاء ومن المكالمة والدبلة الفضية فى يده اليسرى عرف عبد الجبار أن علاء قد تزوج وبمجرد أن أنهى علاء المكالمة هتف عبد الجبار:

- ألف مبروك يا باشا وو عج عجال البكارى.. أنى مستعد اعمل أى حاجة لاجل ترضى انشالله انضف البيت مع الجماعة ..

ولطمه علاء على وجهه بقوة وصرخ فيه:

ارتبك بيتر ثم اجابه أن اسمه أحمد فابتسم الرجل قائلاً:

- عاشت الأسامي يا سى أحمد تعرف انا عندى ولد من دورك كده بيشتغل فى ايطاليا..

- وايه اللي وداه هناك؟ ليه مشتغلش هنا؟

ابتسم الرجل فى سخريه ومرارة:

- بالذمة ده سؤال؟

وبعد نصف ساعة تقريباً عاد النمنم محلقة من السعادة وعلى وجهه ابتسامة رضا و اعتداد بالنفس حتى

أن مشهده قد أضحك بيتر.. واستأذن بيتر الرجل فى الانصراف:

- بعد اذنك يا حاج.....؟

- بطرس اسمى بطرس يا ابنى وده عمك مصطفى

ذهل بيتر وتسمر فى مكانه من المفاجأة وهو لا يصدق الموقف وانتزعه النمنم انتزاعاً من المقهى وقد

استبد به الدهول فلم يجد على لسانه سوى كلمة واحدة :

- ازاي؟ ازاي؟

كانت تلك الليلة فارقة فى حياة بيتر وفى تفكيره فقد بدأ يفيق على حقائق كانت غائبة عنه وبدأ يؤمن أن

شعب مصر مازال به أختيار لم تلوث الأحداث قلوبهم ، وللمفارقة العجيبة التى لفت وائل نظره اليها أن

هؤلاء الأختيار كان يطلق عليهم فيما مضى الأغلبية الصامتة هؤلاء الذين أبوا أن يدخلوا لعبة السياسة

فظلوا بمنأى عن ظلم الحكومة وفساد المعارضة كانوا يشاهدون عن بعد ويضحكون على ما يشاهدونه..

وفى ألم وحسرة قال وائل:

- يبدو أن الأمل فى الأغلبية الصامتة مش فى الأبطال الورقيين وأشواوس المعارضة المزعومة .. احنا

راهنا على قدرتنا على الصمود واتحاد فئات المعارضة ولكننا للأسف خسرننا الرهان وخسرننا أنفسنا

وخسرننا البلد.

.. اتجه علاء إلى مكتب ناجي المنسق العام لحركة ضباط من أجل التغيير والقائم بأعمال نائب رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء وذلك بناء على استدعاء ناجي له، ورغم الاحترام والاجلال الذى يظهره علاء تجاه ناجي إلا ان الحقد كان يتأجج بداخله على ناجي الذى كان يحوز احترام الجميع داخل حركة الضباط وشعبية جارفة وسط جموع المواطنين. كان ناجي شخصية مثالية قلما وجد مثلها كثير من الأحيان كان يخيل إلى علاء أن ناجي لا يخطيء فهو صادق وشجاع وشهم وبلغت به المثالية المفرطة أن رفض الزواج لكي لا يظلم بنات الناس معه ، كان ناجي لا يريد انجاب أطفال فى وطن مستقبله مجهول، وكان يكتف مشاعره تجاه أى فتاة لكي لا يعطى لنفسه فرصة للتخلي عن هدفه الأسمى ألا وهو النضال من أجل وطن أفضل ومستقبل به شىء من التفاؤل والأمل.

وصل علاء الى مكتب ناجي فدخل بدون استئذان ليجده متجهما ومد علاء يده للسلام فلم يصافحه ناجي بل قال له دون أن ينظر اليه:

- اقعد يا علاء

وجلس علاء وقد بدأ يضطرب وهو يراقب ناجي يقرب فى بعض الأوراق أمامه وبعد دقيقتين رفع ناجي وجهه وسلط عينيه الثاقبيتين على علاء وقال فى غضب حاول أن يكتمه:

- هناك الكثير من الشكاوى المقدمة ضدك من المواطنين

ضحك علاء فى محاولة لتخفيف حدة الموقف وقال:

- ايه يا ناجي انت قلبتها جد وبتتكلم بالنحوى ليه؟

ضغط ناجي على أسنانه من الغيظ وقال فى حزم:

- أنا استدعيتك النهاردة بشكل ودى عشان أسألك عن الفضايح اللى سمعتها عنك .. ونظر فى الورق الذى أمامه وهو يعد على أصابعه قائلاً:

- رشوة 00 هنك عرض.. تزوير فى أوراق رسمية .. استغلال نفوذ.. تقديم أبرياء لمحاكمات عسكرية وتلفيق تهم و.. قاطعه علاء فى حده :

- مين ابن الكلب اللى قال كده

اشتعلت عينا ناجي بالغضب فاضطر علاء للصمت ثابنتين ثم قال فى لهجة حاول أن يطليها بشىء من المشاعر والود:

- احنا اصحاب من مده يا ناجي .. تصدق فيا كده؟ فاكر لما كنا بنجتمع دايمًا فى شقتى وانا ظابط امن دولة يعنى رقبتي كانت ممكن تطير فيها

نكس ناجي رأسه وقال:

- أنا آسف. كنت أتمنى الاتهامات تكون باطلة لكن فيه أدلة كثير ضدك وشهود

تلمع عينا علاء ويقول وهو ينحنى على ناجي:

- يعنى ايه مش فاهم ؟

- أنا مضطر أحولك للمحاكمة العسكرية إلا فى حالة واحدة.. تتنحى عن كل مناصبك وتتخلى عن صلاحياتك كلها وسيتم تسريحك من الجيش

كاد علاء أن يجن لكنه حاول التحكم فى نفسه فقد كان يعلم أن ناجي قوى الشكيمة وأنه ان قال كلمة فهو يقصدها تماما .. حتى لو دخل مع ناجي فى عراق بالذراع سيغلبه ناجي وفى داخله أدرك علاء أن هذه المعركة لا تحسمها القوة ولكن يحسمها الدهاء . نكس علاء رأسه وهو يقول :

- اللى تشوفه يا ناجى .. بس سببى اروح النهاردة مكتبى عشان محدش يحس بحاجة وبكرة الصبح
استقالتى هاتكون على مكتبك
نظر له ناجى نظرة استياء وشفقة ولم يتحدث فأدى له علاء التحية العسكرية وخرج دون كلمة واحدة.

ذهب علاء الى منزله وقد اشتعلت نيران الغل في قلبه ، وكاد عقله ينفجر من كثرة الافكار السوداء التي أحاطت به فكل ما حلم به صار على شفا الانهيار وكل ما وصل اليه من نفوذ وثروة ومتعه مهدد بالضياح والى الابد ولم يكن علاء يسمح بذلك لابد من مخرج هذا ما عرفه دائما أن لكل أزمة مخرج وبعد تفكير مضنى وصل للحل الذى سيريحه من كل شىء وبطفء نار قلبه .. ونادى على انتصار التي جاءتة تلهت من الالهفة وهى تمنى نفسها بوصلة تعذيب جديدة تطفء شعورها بالذنب ولو قليلا وكانت تتساءل فى طريقها من غرفة الجلوس إلى غرفة النوم عن الوسيلة التي سيعذبها بها هذه المرة ترى هل يسبها أم يضربها بالكرباج أم سيسعدها الحظ ويدوس عليها بحذائه وما إن وصلت اليه حتى هتف بها:

- ايه يا مرة ساعة عشان تيجى ؟ اتلقى اقعدى يا زفته

تجلس تحت قدميه فيجذبها من شعرها ويجلسها إلى جواره ويعتصر ذراعها فى قسوة:

- سيبك م الوساخة اللي فى دماغك دى مش وقتها واسمعينى كويس

ارتعدت خوفا وقالت :

- حاضر .. أمرك .. سامعك

- أنا تعبان

تشعر بالشماتة داخلها ولكنها تقول له:

- ألف سلامة

- انتى غبية ؟ أنا مش تعبان بس انتى هتقولى انى تعبان ولا أقولك هتقولى انى حاولت انتحر

اتسعت حدقتا انتصار فى ذهول وسألته:

- أقول لمين؟

وطعنها فى قلبها عندما قال لها أن المقصود هو ناجى ، ذلك البطل الوحيد الذى لم تفقد انتصار احترامها له هو ووائل كانا فى نظرها أيقونتان للوطنية والاخلاص وكانت ترتعد من الغثيان والخوف وهو يشرح لها خطته الدنيئة وما إن فرغ من كلامه حتى ثارت فى وجهه :

- اللي انت بتقوله ده مستحيل .. أنا مش ممكن أعمل كده.

وجاءها الرد ضربا عنيفا مبرحا أسال من جسدها الدماء وهددها بقتل أمها واغتتيال شقيقها فى فرنسا وذكرها بأنه الآن يده طائلة أكثر من ذى قبل واضطرت لموافقته فلم يكن بيدها حيلة فى تمام الساعة الثانية صباحا أمسكت بالهاتف وحاولت الاتصال بناجى وهى فى حالة انهيار تام ولكنها لم تستطع اتمام الرقم ودخلت فى نوبة انهيار عصبى حاد فبصق علاء فى وجهها وتوجه مسرعا إلى شقته فى فيصل وفور وصوله أيقظ عبد الجبار من نومه وشرح له الخطة وأمره بالتنفيذ وبالفعل اتصل عبد الجبار بناجى وهو يصرخ:

- الحبنى يا ناجى باشا ..علاء بيه انتحر أيوه .. أنى عبد الجبار فاكرنى؟ تعالى فيصل

وفى أقل من ثلث الساعة كان ناجى فى شقة علاء تلك الشقة التي شهدت اجتماعات ضباط من أجل التغيير وشهدت على صداقة وثيقة بين علاء وناجى كان ناجى يكن معزة حقيقية لعلاء وكان دائما يفخر به أمام ضباط الجيش الذين كانوا يعاملونه بتحفظ على أساس انه ينتمى للشرطة ولأمن الدولة لكن ناجى كان يرى فيه بطوله وشهامة لأنه اعتقد فى علاء الاخلاص والتضحية برغم منصبه فى مكان حساس وما إن وصل ناجى الى شقة علاء وفتح له عبد الجبار باب الشقة حتى صرخ فى لهفة وقلق :

- علاء فين ؟ عمل إيه فى نفسه المجنون ؟

وأشار له عبد الجبار على غرفة النوم الرئيسية المقابلة لباب الشقة ودخل ناجى مسرعا إلى الغرفة ليفاجأ بعلاء جالسا يرتدى ملابسه كاملة وفي يده مسدس وقبل أن ينطق ناجى بكلمة واحده انطلقت رصاصة من مسدس علاء تعمد أن تخطيء الطريق الى قلب ناجى لتصيب صدره وينزف بغزارة ولكنه يسأى السقوط على الأرض وهو يتمتم فى ذهول :

- مش ممكن .. ثم ينظر إلى علاء ويسأله:
- ليه؟

يجيبه علاء فى برود :

- ياروح ما بعدك روح .. انت كنت عايز تزىحنى من طريقك مكانش قدامى غير كده

- انت فاكّر الشعب ممكن يسكت على قتلى؟

ابتسم علاء فى سخرية وضغط بقوة على جرح ناجى وهو يقول:

- يا ناجى يا حبيبي الشعب المصرى بقى أوسخ من حكامه

هم ناجى بقول شىء ما لكن رصاصه انطلقت من مسدس عبد الجبار وأصابت رأسه أخرسته للأبد. وتوجه علاء إلى مكتب ناجى وأحرق كل الأوراق التى تدينه ووضع جثة ناجى على مقعده فى المكتب وذهب إلى الزمالك ليجد انتصار وقد أكل البكاء عينها وبمجرد أن دخل الشقة هجمت عليه وأمسكت بملابسه وصرخت:

- قتلتك؟ قتلت أنظف واحد فى البلد؟

دفعها بيده فاصطدمت بالحائط وهى تصرخ فى لوعه فقد كان قلبها يتمزق على ناجى، صحيح أن السنوات الماضية قد حولتها إلى مسخ مريض نفسيا إلا أن جزءا منها أبى التحول إلى الشر .. هل ذهب ناجى؟ ضاع للأبد؟ ابتسامته الحزينة وعيناه الثاقبتان وجسده فارغ الطول . كل هذا الكبرياء سقط فى شرك الموت؟ تكومت انتصار على الأرض فى وضع الجنين وهى ترتجف وتذكرت آخر زيارات ناجى لهما حين قال لها عندما هم بالانتصار:

- اسمعى انتى أختى الصغيرة أى شىء تحتاجيه كلمينى ولو علاء زعلك أنا اللى هأقف له

كم كان حنوننا وشامخا ، كانت تعتبره أبا لا أبا كبيرا .. فى داخلها تمننت انتصار لو أنها هى التى ماتت . أما علاء فقد كانت ليلة قتل ناجى من أسعد لياليه لأنه كان يعتبر ناجى العقبة الوحيدة أمام طموحاته رغم أنه هو من أعطاه كافة صلاحياته وعينه نائبا له إلا أن فرصة علاء فى اكتساب شعبية كانت ضعيفة فى وجود ناجى الذى كان كالشمس حين تسطع فى أول الصباح نورها يشع دفئا وبهجة أما علاء فقد كان باردا وكأنه قد من صخر لامع أو من لوح جليدى.

وفى الصباح استيقظ علاء على مكالمة هاتفية من مقر القيادة تخبره بأنهم وجدوا ناجى مقتولا فى مكتبه وذهب علاء وقد حاول ان يرسم بعض التأثير على ملامحه الجامدة وأمر على الفور بتشكيل لجنة تحقيق انتهت فى نفس اليوم إلى إدانة عدد من ضباط الجيش الذين اعترضوا قبل ذلك على تعيين علاء وهو من الشرطة كنائب لناجى فى حركة قوامها ضباط الجيش بالأساس. وفى خلال أسابيع قليلة استتب الأمر لعلاء بعد أن أصبح الرجل الثانى فى الدولة رسميا والأول فعليا وبدأت انتصار تشعر بغثيان شديد بعد مقتل ناجى ، غثيان لم يعد أى شىء يسكنه، رغبه حارقة وجامحة فى التظاهر جعلتها تصارح علاء بأنها فى حاجة ماسة لزيارة طبيب نفسى وكل مرة كان يقابل رغبته هذه بالسخرية وبأن عقدها تستعصى على أطباء العالم ، وكأنه نسى أن أغلب هذه العقد كان هو السبب المباشر لها..

ذات مساء واجهته بقوة وبأنها ستذهب إلى الطبيب النفسى حتى لو اضطررت إلى فعل ذلك رغما عنه وبأنها لو كانت سوية نفسيا لما قبلت الزواج من جماد مثله وبأنه .. ولم تكمل فقد انهال عليها الضرب من حيث لا تدرى حتى سقطت مغشيا عليها وعندما أفاقتم كان جالسا على الأريكة يرتدى حذاءه تأهباً للخروج وقبل أن يتناول مفاتيح السيارة همس لها:

- اعملها وهنثوفى الجحيم بعينك .. هخليكى تتمنى الموت عشان ترتاحى من العذاب اللى هتشفويه انتسى وأهلك.. ثم تركها ومضى إلى شقة فيصل ، كانت تعلم أين يذهب كل ليلة وماذا يفعل ولم تعترض يوماً ولا حاول هو اخفاء ما يفعله بل كان يحدث عشيقاته أمامها ويتغزل فى مفاتهن ويقارن بينهن وبينها حتى فى أكثر لحظاتها خصوصية، ولوله فكرت أن تذهب اليه وتفوضه وفى داخلها لم تجد إلا صورة واحدة تملأ كيانها صورة طاهرة لرجل بحق كان أجمل شيء حدث لها ولكنه أتاها فى الوقت الخطأ .. لقد كانت هى من تركته وهربت منه ولكنه لم يكن هروب خداع أو استغناء بل كان أقرب إلى هروب الليل من النهار، هروب الجبان من الشجاع، هروب الباطل من الحق. شعرت انتصار أنها فى أمس الحاجة لوائل ، كانت تحتاج حمايته من بطش علاء ومن ذلك الجلال الذى يحتل ضميرها ويتلذذ بعذابها وإغراقها فى النجاسة والوحل، عيناه الواسعتين البرينتين بدا وكأنهما ميناء سلام لها ودون وعى منها امتدت يدها إلى هاتفها المحمول وطلبت رقمه، لم تجد صعوبة فى تذكر الرقم فهى أبدا لم تنساه . ترى هل مازال يحتفظ بنفس الرقم ؟ وسمعت جرس الهاتف ولم تحتمل أعصابها أكثر من ذلك فأغلقت المكالمة وانهارت فوق الأريكة تبكى . كان وائل فى نفس الوقت يكتب مقالة عن ضحايا ما سمي بفترة الاصلاح السياسى فى مصر وكانت انتصار - من وجهة نظره- نموذجاً مثالياً للضحية كما كان أوديب نموذجاً مثالياً للبطل التراجيدى بمعايير المسرح الإغريقى أما ناجى فقد مثل لوائل بطلاً إغريقياً صميماً سعى وراء معرفة الحق وكلما عرف أكثر تألم أكثر وبيده رسم نهايته عندما أحاط نفسه برجال لا هم أكفاء ولا شرفاء وأدرك وائل كما أدرك كثيرون من الشعب أن ناجى قد قتل على يد رجاله ولكن أحداً لم يحرك ساكناً ، وفجأة سمع وائل رنين هاتفه ونظر إلى الشاشة فى فضول ليعرف صاحب المكالمة المبتسرة فوجد اسمها ، رغم مرور أكثر من عامين على آخر لقاء بينهما لم يستطع أن ينساها بل ولم يحاول وظل اسمها مسجلاً فى ذاكرة هاتفه وفى ذاكرة قلبه ، قلبه الذى انتفض فى عنف مكنبها عيناه عندما رأى اسمها يضىء شاشة هاتفه. وضع وائل هاتفه فى اضطراب أدى إلى إسقاط فنجان القهوة فوق الأوراق وحاول التماسك وبدأت التساؤلات تجتاح كيانه ترى هل أخطأت فطلبت رقمه عن طريق الخطأ؟ أم أن زوجها هو الذى رأى اسمه فهاتفه للتأكد من هوية صاحب الرقم؟ حتى وإن كان الأمر كذلك قرر وائل أن يتصل وليحدث ما يحدث، وبالفعل اتصل وائل وقطعت انتصار بكاءها لتردد من بين دموعها:

- ألو .. تتهد وائل تنهيدة كادت تحرق قلبه وهو يهمس:
- وحشتينى
- ممكن أشوفك؟
- أكيد .. ولم تنتظر انتصار أنهت المكالمة وارتدت ملابسها على عجل وذهبت الى منزله ولم يكذب يفتح الباب حتى ارتمت بين ذراعيه وغابت فى بكاء مرير وهى تردد :
- سامحنى .. أرجوك سامحنى يا وائل أنا حاولت أعيش من غيرك مقدرتش .. حاول وائل تهدئتها بلا جدوى فأدخلها وقال لها :
- احنا مش لوحدنا يا انتصار تماسكى شوية أرجوكى

وأفاقت انتصار من انهيارها فوجدت بيتر يقف بالبيجامة مذهولا من تلك الزائرة الجميلة المنهارة ومن الجانب الأيمن خرج النمنم وهو يرتدى ملاءة مطبخ وفي يده مغرفة وعندما رآها تقدم نحوها فى فضول شديد وسألها ووجهه يكاد يلتصق بوجهها :

- هى المزة زعلانة ليه؟

تراجعت انتصار وقالت وهى تنتشبت بوائل :

- ملكش دعوة .. أنا جايه لوائل

هرش النمنم شعره الذى أغرقه الفازلين ثم قال بابتسامة بلهاء:

- أنا وائل .. وزجره وائل ثم أخذ بيتر بصعوبه ليعيده الى المطبخ وهو يهتف:

- طب اعتبرينى وائل .. يا سلام مزة مزة يعنى

دخل وائل وانتصار إلى غرفة المعيشة وجلسا على الأريكة فى صمت طويل وكل منهما يتأمل الآخر ويرى ما تغير فيه وبادرها وائل:

- انتى خلعتى الحجاب؟

- لبستة غصب وخلعته غصب .. نظر لها متسائلا فقالت:

- هو قال لى اخلعيه مش عايز مراتى تبقى شبه الغفر

تعجب وائل فى داخله تساءل لماذا تركته انتصار وتزوجت علاء وهى تكرهه لدرجة انها لا تريد ذكر اسمه فتشير إليه ب " هو "؟ ولماذا عادت الآن وهى فى هذه الحالة؟ وكانها سمعته فقالت أنها ستخبره بكل شىء منذ طفولتها وصارحته بكل شىء لم تصارحه بشىء أبدا عندما كانا سويا ، كانت دائما غامضة وحزينة وشارده واليوم فقط عرف كل شىء وفهم كل شىء، لماذا احتملت كل هذا الحزن وحدها؟ أه لو كانت صارحته لما كان تركها أبدا .. كان سيدافع عنها ويحميها ولو كلفه الأمر حياته لكنها فضلت الفرار وها هى تعود اليه محطمة وفى حزم قال لها:

- انتى لازم تروحي لطبيب نفسى

- علاء لو عرف هيدبحنى .. وتتنظر إلى خارج الغرفة فى حذر وارتياب فيطمأنها وائل أن النمنم وبيتر صديقان وفيان له وانهما لن يبوحا بسرهما وطالت جلستهما ساعتين وثلاثة لم يقطع حديثهما سوى النمنم الذى كان يدخل عليهما من وقت لآخر بحجة تقديم مشروب أو أخذ مطفئة سجائر وانتهى اللقاء على وعد بأن يتكرر وخرجت انتصار من بيت وائل وهى تشعر بأمان غير عادى كان لديها فى تلك اللحظة قدرة على تحدى أكثر القوى بطشا فى العالم. خرجت وقد استردت شعورها بالكرامة والأوثوة والسعادة وبمجرد أن وصلت إلى منزلها نقلت أشياءها خارج غرفة علاء فقد آن الأوان لأن توقف بيدها حفلات التعذيب التى كان يقيمها على شرف كرامتها وأدميتها ليلة بعد ليلة . كان الامل يغمرها بعد وعد وائل لها بأنه سيأتى بصديق له يعمل طبيبا نفسيا ليعالجها فى منزله دون أن تضطر إلى الذهاب إلى عيادة الطبيب وقد كان وبدأت جلسات العلاج فى منزل وائل وبين النمنم وبيتر عرفت الضحكة طريقا الى انتصار بعد غياب سنوات لم يرتفع صوت ضحكها ولو لمرة وشعرت انتصار أنها بين أخويها ومعها حبيبها والطبيب المعالج كانت تتمنى لو تقضى باقى حياتها هكذا . كانت الساعات القليلة التى تقضيها فى بيت وائل تهون عليها كل شىء وبدأت شجاعته تزيد يوما بعد يوم حتى أنها بدأت تغلق باب غرفتها ليلا بالمفتاح غير عابئة بغضب علاء ولا باندهاشه

للتغير الطارىء الذى بدا عليها ونفورها الشديد منه بل وعصيانها عليه حتى نظرات الشك والوعيد الصامت لها أثناء تناوله الطعام لم تثر داخلها الخوف ولا حتى ارتابت لوهله أنه يكثرث لأمرها .

ومرت أسابيع وهى على تلك الحالة حتى شعرت بالتعافى التام ولاحظ وائل ذلك فبادرها بأنها لا بد أن تطلب الطلاق من علاء وأنها لا يصح أن تقنى عمرها تحت قدمى شخص بساديته ولا بسمعه السيئة ونظرت اليه انتصار والدموع تملأ عينيها ثم أمسكت يديه وأخبرته أنها ستفعل ذلك من أجله ومن أجل أن يظلا سويا وشردت ببصرها وهى تتخيل حياتهما معا وطفل صغير يشبه وائل واستمر حديثها الشارد دون أن تلاحظ يد وائل التى انسحبت من يدها وعيناه اللتان ابتعدتا فى اتجاه آخر . نعم لقد أحبها بكل جوارحه ولم يستطع نسيانها فى سنوات الغياب إلا أنه بعد عودتها شعر بانكسار فى قلبه ربما لو لم تكن صارحته بالحقيقة كاملة بكل فجاحتها ، لقد تغيرت انتصار لم تعد تلك المرأة التى أحبها وأحب صمتها وغموضها وتماسكها ، لو كانت احتفظت ببعض هذا الغموض؟ لكنها عندما عادت وصارحته كل ما خفى عنه مات جزء من حياء داخله وحل محله نوع من أنواع الشفقة والمسئولية تجاهها لأنها كانت حبيبته فى يوم من الأيام ولا يمكن أن يتركها فى مهب الريح بمفردها . كانت تلك اللحظة من أصعب الاوقات التى مرت على وائل وهم بمصارحة انتصار بكل ما فى داخله فهو أبدا لا يرضى اعطاءها أملا كانيا فى حياة مشتركة بينهما لولا أن سمع النمنم يهتف ويسب فى حماس ثم ما لبث ان دق على الباب بعنف مطالبيا وائل بالخروج فورا، وخرج وائل لتسمعه انتصار يهتف فى سعادة ويرحب بشخص ما ويسأله عن سبب غيابه المفاجيء وسمعت بيتر يقول للزائر المفاجيء:

- تعالى بقى لما اعرفك بالسكرة اللى نورت البيت مؤخرا وانفتح باب غرفة الجلوس لتراه انتصار وجها لوجه أمامها.. وجدت نفسها أمام عبد الجبار .

لأول مرة في حياته يشعر علاء أن بداخله بركان ، كان يوما باردا لا شيء يفلح في هز ثقته بنفسه أو إتلاف أعصابه لكنه لم يتعرض لمثل هذا الضغط من قبل وقد كان أكثر شيء يستفزه بل كان الشيء الوحيد الذى يستفزه هو أن يشعر أن زمام الأمور قد أفلت من يده والزمزم لم يفلت في حياته قدر هذه الأيام فانتصار أصبحت فجأة بنى أدمة تعصاه وتهرب منه بل وتواجهه بحده وتقاوم ضربه لها بعد أن كانت تستمتع بالاهانة وتستلذ بالتعذيب.. ومجموعة ضباط الجيش انقلبوا عليه وبدأ عصيان أوامره على اعتبار أنه ضابط شرطة وأن الحركة قوامها رجال الجيش وهم الأحق بالقيادة ولم تفلح الرشاوى ولا خطط التفريق بينهم فى ردع مواجهتهم له واطاحتهم برجاله المقربين الرجل تلو الآخر مرة بقضية فساد ومرة بحادث اغتيال حتى صارت الأرض تميد من تحت قدميه وشعر وكأن ذكاه قد تخلى عنه للمرة الأولى فى حياته أو ربما لم يتخلى عنه ذكاهه ، ربما تستدعى تلك المرحلة ما هو اكثر من الذكاء. حار علاء أشد الحيرة وراح يراجع قصة حياته منذ طفولته لأب ضابط شرطة وأم تعمل معلمة بالمرحلة الابتدائية وكيف كان ولدا وحيدا بعد وفاة شقيقه التوأم ، كانت أوامره كلها مجابة لوم يشعر بالحرمان مرة رغم أن والده لم يكن ثريا والمفترض أنه لم يكن يملك سوى مرتبه ، كانت فترة طفولته جميلة وكان يعامل من الكل على أنه ملك متوج. مازال علاء يذكر ذلك اليوم الذى خالفه فيه احد العساكر عند والده حيث كان علاء يريد أن يركب العسكرى كحمار ويمشى به فى النادى أمام أصدقائه ولكن العسكرى رفض وقال له :

- أنا مش حمار أنا بنى آدم زيك

يومها ذهب علاء إلى والده متظاهرا بالبكاء فما كان من والده إلا أن أجبر العسكرى على الانحناء وقال لعلاء :

- اركبه واديله بالجزمة

وبالفعل ركب علاء وراح يسوس العسكرى بالحذاء بدلا من الكرياج ومن يومها لم ينزل علاء كان دائما فى وضع الركوب يدوس بحذائه على أى شيء وعلى أى شخص فى سبيل فعل ما يسعده ويريح باله ، حتى أنه كثيرا كان يخيل إليه أن القدر يسير وفق هواه إلا هذه الأيام وكان القدر قد شاء على حين غرة أن يتحدى إرادته ويقف فى سبيل طموحه حتى شعر أنه على شفا الجنون ولم يكن علاء ليرضى أبدا بالهزيمة ولو اضطره الأمر للتحالف مع الشيطان فى سبيل الحفاظ على كل ما وصل إليه وتحقيق ما يحلم به من الوصول إلى رأس الدولة ولكن هدفه هذه المرة ليس معتقلا ضعيفا ولا فتاة غريرة ان عدوه هذه المرة هو الجيش ، كيف سينجح بمفرده فى تطويق جيش بهذا الحجم وهو وحده؟ كيف؟

انهارت انتصار تماما بمجرد أن رأت عبد الجبار أمامها ، شعرت كأن أذنيها فقدتا القدرة السمع وان عينها لم تعد ترى إلا ضباب حتى احساسها فقدته لمدة لم تترك دقائق كانت أم ساعات؟ صارت يدها وكأنها قدت من جليد وراح العرق يتصبب من جبهتها وبدأت ترتجف وراحت دقات قلبها تتسارع حتى شعرت أن أحدا قد ألقاها من السماء السابعة وتركها تخرق الغلاف الجوى بجسدها الأعزل وأسرع نحوها وائل وهو يحاول معرفة ما أصابها بينما وقف كل من النمنم وبيتر فى حالة ذهول وقلق ، أما عبد الجبار فقد هاجت شهوته وهو يتذكر لقاءاتهما الساخنة فى شقة علاء وجلس على الأريكة بجوارها وبدأ يتحسسها بدعوى محاولة افاقتها فنظرت له فى رعب شديد وسقطت مغشيا عليها فحملها وائل بين ذراعيه

وذهب بها الى غرفة النوم وتبعه عبد الجبار لكنه أوقفه بنظره حادة من عينيه فعاد إلى غرفة الجلوس وهمس إلى النمنم :

- هي..المزة د.. دى خصوصى للأستاذ؟ انت والخواجه ايه نظامكو؟
عائته النمنم فى غضب:

- عيب عليك يا عبده .. دى خطيبة الأستاذ

ولكن عبد الجبار ابتسم فى سخرية وأصر على مكاشفة النمنم وبيتر حيث أخبرهم أن التسي يحسبونها خطيبة وائل ما هي إلا مومس وانه بنفسه قد مارس معها الجنس مرات عديدة وعلى استعداد أن يخبر الأستاذ بعلاّمات فى جسدها.. وواجهه بيتر بأنه لا يصدقها فما الذى يجعل واحدة مثل انتصار تعرف عبد الجبار وأمثاله، وحكى لهم عبد الجبار حكايته معها .

استردت انتصار وعيها فشهقت برعب ولكن وائل طمأنها وعندما هدأت نفسها سألتها عن سبب ارتباكها فصارحته أن عبد الجبار هو نفسى العسكرى الشرس الذى كان خادما مطيعا لعلاء وشاركه جريمته فى حقها ، ولكن وائل طمأنها بأن عبد الجبار قد تغير تماما وروى لها قصة خلافه مع علاء وكيف غدر به ولكن انتصار أصرت على أن تترك المنزل حالا وهو ما فعلته.. وحاول عبد الجبار التحجج بأى وسيلة ليلحق بها ولكن النمنم أبطل حججه وأمسك به قاتلا:

- عليا الحرام ما انت ماشى قبل ما اغلبك عشرتين طاولة

وعندما طلب عبد الجبار من وائل الاختلاء به صده وأخبره بأنه يعلم ما يريد أن يقوله وهو ما أشار فضول النمنم واستغرابه فهو لا يعلم عن الأستاذ أن له علاقات مشبوهة ولا انتصار يبدو أنها واحده من اياهم ولكنه قال لنفسه مبررا ما سمعه من عبد الجبار:

- صحيح يا ولاد ..القهر وحش

استبد القلق بوائل كان قلقا على انتصار ومندهشا من الظهور المفاجىء لعبد الجبار بعد رحيله المفاجىء أيضا وعلى غير عادته فشل وائل فى التحكم فى أعصابه فغادر غرفة مكتبه فى غضب وأمسك بتلايب عبد الجبار وهدده انه سيقنتله ويدفنه فى حديقة المنزل لو لم يصارحه بكل ما حدث منذ تركهم فجأة إلى أن عاد ، وأخبره عبد الجبار أنه هام على وجهه ثم ذهب إلى قريته ومكث فيها هذه الشهور إلى أن فاض به فلم يعد فى القرية أحد من أهله ولا ظل شىء على حاله هناك فقرر العودة لرؤيتهم وعندما سأله وائل إذا ما كان سيقم معهم باستمرار ارتبك عبد الجبار ثم اجابه بأنه سيقم معهم ولكنه وجد عملا كعتال ولذلك سيخرج إلى عمله ثم يعود لينام معهم ورغم ان وائل لم يصدقها إلا أنه لم يكن ليغلق بابه فى وجه محتاج كما انه اراد ان يكون عبد الجبار تحت نظره فربما يعرف السر الذى يخفيه .

والحق أن عبد الجبار نفسه لم يكن يعلم ما الذى دفعه للعودة الى بيت وائل لقد كان يحوم حول البيت ربما ليطمأن أن البيت لم يتعرض لهجوم الجيش ولا الاخوان ، ربما تأثر قلبه الحديدى بكرم وائل وطيبة النمنم وتواضع بيتر، لم يكن يدري سببا لعودته ولا كان فى نيته الدخول إلى المنزل لولا أن رآه النمنم من النافذه ولربما أيضا كان السبب الذى تركهم من أجله وهو الخوف من الخطر وتنفيذ مخططه للانتقام من علاء ونيل المكافأة التى وعده سامى بها ، ربما كان ذلك السبب لم يزل بل وكان الخوف أكثر أن يرى فى بيت وائل الذى كتب يهاجم الشرطة والجيش والاخوان ، ربما كان فى وجوده فى منزل وائل خطرا مضاعفا يعرضه لغضب علاء وسامى ولكنه اضطر إلى اسكات وائل باخباره أنه سيعود للاقامة معهم من جديد حتى وإن

خالف ذلك القول نيته فالإقامة معهم تعنى التعرض للاعتقال أو القتل إن أجلا أم عاجلا وبمجرد أن خلد الجميع للنوم هم عبد الجبار بمغادرة المنزل ولكن النمنم شعر به فتبعه إلى باب الشقة وتثبت به مقسما أنه لن يتركه يرحل مرة أخرى ولكن عبد الجبار أخرسه بلكمة قوية طرحته أرضا ومضى إلى الخارج بسرعة وارتباك جعله لا يلتفت إلى مفتاح شقة علاء الذى وقع منه على الباب والنقطة النمنم وعاد إلى غرفة النوم وهو حزين ولكن حزنه هذه المرة لم يكن بسبب فراق عبد الجبار ولكن بسبب الاكتشاف المؤلم بأن عبد الجبار سيظل كما هو وبأن عشرتهم الطيبة معه لم يكن لها أثر فيه ..

وعاد عبد الجبار الى شقة علاء وعلى باب الشقة اتسعت عيناه فى هلع وقد اكتشف أنه أضاع المفتاح وفى توتر شديد بدأ يبحث فى جيوبه وتحت عتبة الباب وعلى السلالم وعندما باء بحثه بالفشل لم يكن أمامه بد من أن يجلس على السلم منتظرا وصول علاء فى موعده الذى لا يخلفه كل ليلة.. وجاء علاء بعد منتصف الليل وقد بدا عليه اعتلال المزاج وعندما وجد عبد الجبار على السلم استشاط غضبا وغاصت أصابعه فى لحم عبد الجبار وهو يسأله عن سبب انتظاره بالخارج و حاول عبد الجبار اخباره بأنه نزل لشراء بعض لوازم الشقة لكنه للأسف لم يكن معه نقود عندما توجه الى بيت وائل إلا ثمن الأجرة مما أبطل حجتة وألجم لسانه عندما سأله علاء عن الأشياء التى اشتراها وفتح علاء باب الشقة ثم دفع عبد الجبار داخلها وأوسع ضربا وهو يصرخ فى وجهه بأنه لن يرحمه وأنه سيعيده إلى المعتقل إن لم يعترف له لماذا خرج وأين كان و لمن أعطى مفتاح شقته ؟

وحاول عبد الجبار أن يخترع أى قصة بها بعض من المنطق ولكنه لم يفلح ولم يسعفه ذكاؤه المتواضع وللمرة الألف فى حياته تحكم فيه خوفه ، كانت قلة حيلته تخذله دائما فى أى موقف لا يصح أن يستخدم فيه العضلات لان العضلات كانت حيلته الوحيدة وبدونها كان عاجزا إلى حد الشلل . ولم يستطع إلا ان يقول لعلاء انه خرج للشارع بعد أن شعر انه مخنوق وكان لا يقصد اى شىء سوى التسكع قليلا ثم العودة وعندما سأله علاء عن السبب الذى هز كيانه وجعله يفقد المفتاح ارتبك عبد الجبار بشدة ولم يجد أمامه سوى أن يخبر علاء بأنه رأى انتصار فى الشارع وبهت علاء وكساه الصمت والسكون حتى خيل لعبد الجبار أنه قد تجمد فى مكانه فراح يذكره بها ظنا انه قد نسيها وبانها تلك الفتاة فى المعتقل التى كانت تأتى الشقة زمان وانها وانها وراح يصف شكلها ويذكره بها، إلى أن قاطعه علاء :

- واياه يعنى لما تمشى فى الشارع وانت اياه دخلك بيها

ارتبك عبد الجبار ثم قال لعلاء انها لم تكن بمفردها بل كانت بصحبة رجل واستقلت معه سيارته ولم يدر بعدها عبد الجبار من أين يأتيه الضرب وبدأ علاء يستجوبه حول شكل وعمر ذلك الرجل وأين رآهما وأين ذهبا وعن شكل السيارة ولونها وموديلها وبدأ عبد الجبار يصف السيارة والرجل ثم يعيد علاء سؤاله فيتغير الوصف مما يزيد جنون علاء ولم يدر كيف اخرج مسدسه وضرب رأس عبد الجبار بكعب المسدس ليغشى عليه ويترك علاء فى حيرة وجنون ان زوج انتصار الأول ما يزال فى السجن ولم يفرج عنه ، ترى هل تعرف رجلا غيره؟ ومن يكون ولماذا يكذب عبد الجبار ويحاول اخفاء هوية الرجل الذى كان مع انتصار؟ والنقط علاء سيجارة من علبة السجائر لكنه لم يطق صبورا ليشعلها فرماها وقيد عبد الجبار وجاء بدلو ماء وألقاه فى وجهه وراح يركله بقدميه حتى استعاد الوعى فبدأ استجوابه من جديد حتى اضطر عبد الجبار للاعتراف بكل شىء فقد كان على غير استعداد لأن يضحى بمخططة الكبير للانتقام من علاء والصعود إلى مصاف المرضى عنهم من قبل الاخوان وقد أصبحوا قوة لا يستهان بها وقد وعده سامى بمنصب كبير وبإعادة أرضه وممتلكاته التى سلبها علاء بدون وجه حق وكالعادة أقنع عبد الجبار نفسه أن ما باليد حيلة وأنه

لابد ان يعترف فهو ليس من القوة ليواجه علاء بك ، كما أن اعتراف مثل ذلك لن يضير وائل فى شىء فبرغم انفعال علاء وغيرته على انتصار والتى عجز عبد الجبار عن ايجاد مبرر منطقى لها إلا أنه لم يجد غضاضة فى أن يعترف بأنه رآها مع وائل وقد وصفه ووصف سيارته فقط ولم يقل اسمه وخطر بياله ان علاء لا يمكن أن يصل إلى وائل من مجرد وصفه ووصف سيارته بدون رقمها وأنه حتى انتصار لم تعد على علاقة به ، لا يمكن أن تكون والا كان رآها فى النساء اللاتى يأتين إلى الشقة .

لكن علاء لا يعرف اليأس ولا يتسامح مع من يخرج عن سيطرته ويعلن التمرد عليه وقد توجه كالمجنون إلى منزل الزوجيه فى الزمالك ليواجه انتصار ولكنه لم يجدها ولم يجد أشياءها ، كل ما تركته كان خطاب تخبره فيه أنها خرجت للأبد من حياته وتتصحح ألا يحاول أن يتعرض لامها لأنها ببساطة لا تعرف طريقها ولن تعرفه . لم يفلح تحطيم مرايا المنزل ومزهرياته فى تخفيف غضب علاء وفى ثورة غضبه تلقى اتصالا هاتفيا من مقر القيادة يخبره بوقوع تمرد صغير فى معتقل ليमान طرة الذى تم تخصيصه لضباط الجيش المنقلبون على الثورة ولرموز النظام السابق وبمواجهة بين عناصر مسلحة من الإخوان وفرقة للجيش وأخى من الأمن المركزى انتهت بسيطرة الاخوان على محطة مترو البحوث بعد استسلام فرقة الجيش وانضمام قائدها لصفوف الإخوان، وباستدعاء من قائد الثورة يطالبه بالحضور حالا الى مقر القيادة ، كان كل شىء ينهار من حوله فجأة ليتعد كل شىء وكأنه دم ناجى يلقي عليه لعنة تطالب بالقصاص ، اتجه علاء إلى مقر القيادة وهو يحدث نفسه ، لقد اعتقد أن التخلص من ناجى سيكون خطوة كبيرة فى طريق الصعود ليفاجأ بالعكس تماما فقد كان قتل ناجى خطوة فى طريق الانهيار المباغت الذى وقف عقل علاء حائرا امامه وعند هذه النقطة توقف علاء وأوقف سيارته وقد اكتشف انه وللمرة الأولى نسى عقله وحكم انفعالاته ، لم يكن ليصدق أن قتل ناجى خطأ أو خطيئة فالصواب والخطأ عنده كان لهما معيار واحد فقط .. مصلحته فما يوافق مصلحته كان الصواب بعينه وما كان يخالفها كان الخطأ بذاته ، ومن أجل مصلحته وطموحه كان لابد لعلاء ان يقوم علاء بزيارة مهمة جدا قبل التوجه إلى مقر القيادة وقد كان.

استرد عبد الجبار وعيه وناضل حتى تخلص من قيوده وحاول الخروج ولكن باب الشقة كان مغلقا بإحكام من الخارج ولم يجد أمامه سوى الهرب من نافذة المطبخ . كان عبد الجبار متيقنا ان هذه المرة لن يرحمه علاء فهو يفضل أن يقتل لمجرد الشك وبالطبع لم يكن يستطيع الذهاب مرة اخرى إلى منزل وائل ولذا كان امامه حلا وحيدا هو الذهاب إلى سامى مرة أخرى فقد عرف عبد الجبار مخبأ علاء وخفاياه التي نتيج فضح كوارثه أمام العامة ، من نافذة المنور قفز عبد الجبار إلى مدخل العمارة وكان يهيم بالخروج عندما اصطدم بانتصار وكانت صدمة لكليهما ولكن انتصار وقبل أن ينطق بحرف واحد جذبته من ذراعه إلى سيارتها وقد استجاب تماما ولم يبد أى اعتراض بل انه اعتقد أنها قد اشتاقت إليه ، وفى السيارة سألها كيف عرفت بطريقه فأجابته أنها لم تكن تعرف طريقه ولكنها كانت آتية إلى زوجها لكي تفضحه فهي تعرف تماما ما يفعله فى هذه الشقة فسألها فى بلاهة:

- هو جوزك كمان واخذ شجه هنا؟

ابتسمت وصارحته بتشفى انها زوجة علاء وراحت تشرح له كيف تزوجها وأنها كانت متأكده تماما أنه مازال مساعده المخلص وأنه سيشى بها إلى علاء . وفهم اخيرا عبد الجبار سبب الغضب الرهيب الذى انتاب علاء عندما اخبره انه رأى انتصار مع رجل آخر . وحكى لها عبد الجبار أيضا ما خفى عنها من استيلاء زوجها على ممتلكاته والزج به فى أحد المعتقلات بدون أن يأتى على ذكر اتفاقه مع سامى وبمجرد ان فرغ من قصته ابتسمت انتصار وأخبرته انها لابد ان يتفقا على تدمير علاء فابتسم ابتسامة أظهرت أسنانه المتسوسه وأضفت عليه قبحا اضافيا ، واخبرها انه موافق على قتل علاء ولكن بشرط وحيد وهو أن تهبه نفسها الآن وتتروجه بعد مصرع علاء .

لوهلة ترددت انتصار فكيف تعود إلى الوحل بعد أن من الله عليها بالشفاء ؟ ولكنها كانت يائسة وفكرت انها قد نجست جسدها كثيرا بلا طائل وبلا مقابل وبلا سبب سوى الخوف، اذن فلتنجسه مرة واحده أخيرة للخلاص من ذلك الوغد الذى دمر حياتها فوافقت وكان عليهما البحث عن مكان لا يخضع لسلطة الاخوان والاقتلا فى التو واللحظة وأقيم عليهما حد الزنا ، وأيضا مكان لا يخضع للجيش وقد صار علاء متحكما فى بعض رجاله وهاما بالسيارة على الطرق النائية وحاولت انتصار ان تتحجج بعدم وجود مكان وبانه من الأجدر بهما ان يؤجلا اللقاء ولكن عبد الجبار لم يكن على استعداد لأن يسمعها فلقد اشتعل جسده ولا بد أن يطفأه حالا بغض النظر عن أى شىء ولذا فقد وجد ضالته فى عشش الزبالة على الطريق الدائرى وبتهديد السلاح فتحت له احدى العشش وغاصت انتصار فى الوحل برضا تام هذه المرة لأنها كانت تعلم فى داخلها أنها ستكون المرة الأخيرة.

عاد بيتر من الكنيسة مضرجا في دمائه وفي حالة ذهول مما حدث له ففي الصباح حاول وائل منعه من الخروج الى الشارع خوفا من استهدافه بعد التهديدات المختلفة التي تلقاها من جهات متطرفة ردا على تقارير قدمها في برنامج عن وحشية تيار الاسلام السياسى فى مصر، وعن مخالفات حادة للشريعة الاسلامية ارتكبها بعض رموز هذه الحركة ولذلك كان وائل ينصحه دائما بتوخى الحذر وهذا الصباح فعل معه المستحيل ليقنعه بعدم الخروج ولكنه أصر على حضور الصلاة فى الكنيسة ، وفى الكنيسة تم ضربه ضربا مبرحا بعد أن اختلف مع بعض الشباب المتعصبين الذين هاجموه بسبب اقامته عند مسلم ورفضه الاقامة لدى أحدهم وهو محاسب متعصب واضطر بيتر للدفاع عن وائل وعن الاسلام مما عرضه لغضبهم الشديد حتى أن واعظ الكنيسة لم تفلح محاولاته لتخفيف الضرب عن بيتر ولكنه لم يفلح ، وتم طرد بيتر من الكنيسة ليخرج وهو متأكد أن الكنيسة الارثوذكسية لم تعد مكانا لدين الرب بل مكانا للكراهة والحقد وتأليب شعب الكنيسة على أتباع الديانات الأخرى بل وعلى الملل المسيحية الأخرى. تذكر بيتر أبواه الأرثوذكسيان وحرصهما على الصلاة كل أحد فى الكنيسة ، أى كنيسة. كانت والدته تقول أن كلها بيوت الرب وكل بيت للرب صالح للصلاة والعبادة. وتساءل بيتر لماذا لم تعد تلك الكنائس بيوتا للرب لمجرد أن قال أحدهم بحرمانية الصلاة فيها؟ وكيف تستطيع كلمة واحدة من رجل دين أن تهدم أساس عقيدة قوامها كان الحب والتسامح؟ لقد سمع وقرا الكثير عن اضطهاد الاقباط فى مصر ولكنه عندما ترك الولايات المتحدة الامريكية ليستقر فى مصر بحكم عمله لم يجد فى الأقباط ملائكة ولا فى العرب - كما كان يسمى المسلمين فى مصر - شياطين بل وجد قطعانا من المشاة يسوقها رجال الدين أنى شأؤوا وللأسف كانت مشيئة رجال الدين فى كلا الطرفين تميل الى الدم والعنف وحب السيطرة وكراهية الآخر. واندحش بيتر أنه لم يصبح متدينا ولم يفكر فى الصلاة فى كنيسته الا بعد ان أقام بين وائل والنمنم ورأى بعض المظاهر الدينية عندهم وشعر بصلة غريبة بين حرص وائل على صلاة الجمعة فى المسجد وان كانت الشوارع غير آمنة وبين حرص والده على الصلاة كل أحد فى الكنيسة، بل لقد راود بيتر شعور غريب أن مصريته لن تكتمل إلا ان أصبح متدينا مواظبا على ارتياد الكنيسة والتناول. ووصل بيتر الى منزل وائل ليجد النمنم يبكى ويلطم خديه وعندما راي بيتر والدماء تنزف من جسده زادت حدة اللطم فزع بيتر وساله عن سبب ما يفعله وعندما صارحه النمنم بأن وائل قد تلقى تهديدا من شعبة القصاص والحراية فى جماعة السلف الصالح- وهى جماعة تكفر الجيش والاخوان معا- بالقتل واحراق المنزل بمن فيه حتى انتابت بيتر حالة من الضحك الهستيرى وهو لا يكاد يصدق ما يحدث فقد كانت المشكلة منذ سنوات قليلة بين المسلم وجماعة من المسيحيين أو العكس لكن أن تصبح المشكلة بين المسيحي والمسيحي وان يصير الاقتتال بين المسلم والمسلم فى نفس الوطن فهذا هو شر البلية وشر البلية ما يضحك وما هى الا دقائق قليلة حتى دخل وائل الى المنزل وهو يضع يده على قلبه فأسرع بيتر اليه ملهوبا وكف النمنم عن البكاء ونظر نحو وائل فى فزع يحاول تفحصه والاطمئنان أنه بخير وطمأنهما وائل بأنه بخير ثم اخرج تذكرة طيران وأعطاها لبيتر الذى تناولها ونظر فيها مدققا ثم سأل وائل مندهشا اذا ما كان ينوى السفر الى الولايات المتحدة الامريكية ولكن وائل قال له:

- انت اللى هتسافر يا بيتر القنائة بتاعتك فجروها النهاردة والتهديد بالقتل فى انتظارك من الجماعات المتشددة عندنا وعندكم وانت مش واخذ على الحياة هنا و... قاطعه بيتر ثائرا وقال انه لن يترك مصر مهما حدث فهو مصرى مثلهم تماما وليس أقل منهم وطنية ليترك وطنه فى هذه الظروف الصعبة وهو ليس جبانا ليهرب ولكنه وائل رفض ان يستمع اليه قائلا انه هذه المرة لن يلتزم الديموقراطية التى آمن بها عمره وقال لبيتر أن وجوده خارج مصر سيكون أكثر نفعاً فقد تم قصف

الاقلام الحرة أو استعبادها بالمال أو الارهاب ووجوده فى امريكا سيكون مهما وسيوفر لوائل الحرية فى ارسال ونشر المقالات التى تتم مصادرتها فى مصر كما أنه بعد أن رأى المهازل التى تحدث فى الوطن سيكون خير داعيا للقضية الوطنية فى الخارج وانه ربما يقوم بجهود فعالة للحول دون خطة غزو مصر، كان وائل يتحدث والدموع تسيل على خدى بيتر متأثرا بالفراق ولان وائل كان قد رتب كل شىء لانقاذ صديقه ماهى الا دقائق حتى جاءت سيارة تابعة للجيش وولول النممن خوفا من ان تكون قد جاءت لاعتقال وائل لارائه المتشددة ضد الحكم العسكرى ولكن ولدهشته الشديده وجد ضابطا برتبة مقدم يترجل منها ويدخل المنزل مسلما على وائل بحرارة واصطحب بيتر وحقائبه الى السيارة وعلى الباب قال له وائل وقد بدأ العرق يتصبب من جبينه وجسده بغزارة:

- مش هاوصيك يا باسم

- فى عينيه يا وائل مش هاسيبه غير لما اطمن انه فى الطيارة وانها اقلعت

واحتضن بيتر وائل بشدة وانضم لهما النممن وهو يتشبث بكليهما وينهه طفل صغير بين أبيه وأمه ووقف وائل والنممن خارج المنزل يلوحان للسيارة التى أقلت بيتر حتى غابت عن نظرهما وسقط وائل على الأرض فحمله النممن إلى الداخل ووضع على الأريكة التى فى المدخل وكان وائل غير قادر على التنفس بشكل طبيعى فالتقط النممن الهاتف وراح يبحث عن رقم الطبيب ولكن وائل اشار له أن يقترب فجلس النممن على الأرض بجوار الأريكة وهو يبكى وصارحه وائل بأنه لا فائدة فهو يرى أشباح الموت أمامه وبأن الطبيب لن يدركه فزاد بكاء النممن ولكن وائل منعه قائلاً:

- اللى يحب البلاد دى ويشيل همها فى زمن صعب زى ده لازم يتجنن أو يموت بالقلب

وابتسم وائل ابتسامة طالت وطال الصمت حتى عندما طلب النممن الطبيب وجاء الطبيب وأكد أن قلب وائل قد توقف ، حتى وهم يغسلونه ظلت الابتسامة المرة الحزينة على وجهه وأبت عينيه الانغلاق حتى كفهوه وكأنه كان ينتظر أن يرى شيئاً ما قبل الرحيل وكأن نظره يأتى النوم قبل أن يرى ما تمنى.. كانت الجنازة شبه سرية ليس بها سوى النممن وشقيق وائل وضابط الجيش الذى أوصل بيتر إلى المطار. لأول مرة يشعر النممن باليتم ورغم أن فارق السن بينهما لم يكن كبيراً إلا أن وائل كان بمثابة أب له كان هو من تقفه وعلمه وآواه حتى لقد كتب له المنزل مناصفة مع بيتر وترك باقى ممتلكاته لأهله، كيف غاب وهو بعد فى عنفوانه كيف لم يحتل قلبه الحياة؟ ووصلت الجنازة إلى المقبرة ليجد النممن تجمهرها كبيراً لم يتخيله كان تجمهر غريب به كتاب ومشاهير وبه بسطاء ساعدهم وائل كل هؤلاء جاؤوا رغم التهديدات والتحذيرات جاؤوا رغم أنف الإخوان ورغم عن العسكر . فى المدافن عرف النممن كم كانت حياة وائل غالية وكم كان رجلاً عظيماً وفى المدافن عرف النممن ما كان يعنيه وائل لانتصار عندما رآها تنهار على قبره باكية حتى فقدت الوعى ورأى معجزة عندما لمح دمه تلمع فى عيون عبد الجبار القاسية وعلى باب عينيه وقفت غلظته حائلاً بينها وبين وجنتيه.

وعاد النممن الى بيت وائل وجلس فى غرفة المكتب بين الكتب وراح يقرأ ويقرأ فى البداية كانت القراءة تشكل عبئاً عليه وكان يتنعج ولكن فى آخر الليل كان يقرأ بسلاسة أدهشته كما أدهشه أن القراءة كانت تعزیه وتخفف ألم الفراق . قضى النممن شهوراً طويلة فى القراءة ، شهوراً صدر فيها قرار بمنع بيتر من دخول مصر ووضع على قوائم الترقب ، شهوراً زادت الاوضاع سوءاً وسط ترقب اجتياح أمريكى وبين مناقشات فى الكونجرس والكنيست عن نوع الاجتياح واذا ما كان يفضل ان يكون امريكا اسرائيليا

أم تكتفى أمريكا بالضرب جوا وتترك الاجتياح البرى لاسرائيل وعن إمكانية استخدام السلاح النووي في مصر من عدمها..

في تلك الشهور أذمنت انتصار الخمر والحشيش وكل ما كانت تطوله يد عبد الجبار من مخدرات وممنوعات يزوده بها أصدقائه في مكتب سامى بك أو الاخ سامى كما كان يطلق عليه في الجماعة ، شهور ماطل فيها عبد الجبار في الخلاص من علاء لان الامر لم يأتيه من الجماعة ، وبدأ خلالها يصطحب انتصار الى منزل الأخ سامى لتعمل بحق ما تحسبه من منكر .. إلى ان جاء يوم ثارت فيه على عبد الجبار وقالت له انها ستقتل علاء بنفسها ان لم يفعل وانها لن تتزوجه بعدها فهو أخلف وعده لها ووافقها عبد الجبار ووعدها أنه سيفعل ولكن عليها أن تصبر عليه قليلا ولكنها تناولت سكيناً من المطبخ ووضعته في حقيبتها وهمت بالخروج وحاول هو منعها وأخذ منها السكين وقال أنه هو من سيفعلها حتى لا تعرض نفسها للأذى ونظر لها نظرة لم تراها في عينيه من قبل ، آه لو علمه أحد فن الكلام لكان قالها لها ولكنه لم يكن يستطيع أن يقول لها أحبك كان الأمر أشبه بأن تطلب من أفعى ان تمشى على ساقين وكيف تفعل وهي حتى لا تملكهما؟ وفتح عبد الجبار باب الشقة ولكنه لم يغادرها فقد وجد علاء أمامه ومعه مجموعه عرف عبد الجبار من زيهام ولحاهم إلى من ينتمون.

وأسرعت انتصار الى المطبخ وعلاء يتلو على عبد الجبار تهمة وهى الزنا وعقوبته وهى القتل وخرجت انتصار وقد احمر وجهها وتهدجت انفاسها غضبا وغلا وهى تصرخ:

- بس انت نسيت يا علاء بيه.. ثم قالت بسخرية وهى تنظر إلى لحيته الصغيرة: قصى يا شيخ علاء أنه عبد الجبار مش محصن يعنى يتجلد بس مش اعدام وقفزت نحو علاء شاهرة سكين مطبخ ليعاجلها أحد الرجال بسيف فيقطع رقبتها ، بينما اقترب رجلان من عبد الجبار وشلا حركته بعد أن شلت الصدمه لسانه تماما واقترب السيف من عبد الجبار وقال له علاء وهو يقلب جثة انتصار بين قدميه:

- اتشاهد يا عبده يمكن ربنا يرضى عليك

ونظر له عبد الجبار بغل شديد ثم قال ودون ان يتلعثم:

- لو فيه ربنا مكانش كل ده يحصل ولو فيه ربنا بيحى انا استحج الجحيم لاني في يوم خدمت كلب زيك

ونظر علاء الى السيف وارتفع السيف ثم هوى وسكت عبد الجبار إلى الأبد .. لبيئسم علاء في راحة وظفر فقد عرف من أين تؤكل الكتف ولكن جهاز الاسلكى الذى يحمله أطلق صافرته ليرد على سامى الذى كان يعوى :

- أمريكا بتضرب المطارات واسرائيل دخلت سينا يا أخ علاء وانا اخترتك تتقدم الصفوف للجهاد في

سيناء فهى تحت سيطرتنا ونحن المسؤولون عنها ولكن علاء صرخ :

- وليه انت متقدمش الصفوف يا أخ سامى؟ واهو تدخل الجنه وتلحق بالسلف الصالح

- يا اخ علاء التزم بالأمر ولا تعصاه فتغضب ربك

- يا اخ سامى .. اذهب الى الجحيم

وينهى علاء المكالمة ليفر بنفسه الى المنزل الامن الذى لم يكن أحد يعرف طريقه تاركا رجاله في حيره وهم لا يعلمون ما الذى يحدث وكل ما كان يشغل باله فى الطريق هو شىء واحد فقط : كيف يجد وسيلة اتصال مع الأمريكان؟

على باب المطار ترجل بيتر من التاكسى حاملا حقائبه ووجد عدد من اصدقائه الامريكان فى انتظاره لوداعه وطلب منه اأدهم أن يرسل له تقارير مصورة من مصر مادام سيكون هناك ولكن بيتر اعتذر له لانه ذاهب الى هناك كمصرى ليحمل السلاح فى وجه الغزاة الامريكان والاسرائيليين، ليس كمراسل أجنبى.

وعندما سأله اأدهم معاتبا كيف يقبل ان يرفع سلاحه فى وجه الجيش الامريكى رد بيتر فى حزم أنه مصرى لا أمريكى واذا كان دفاعه عن وطنه يغضب الحكومة الامريكية فليسقطوا عنه جنسية امريكا وعلى باب الطائرة سأله الشرطى وهو يراجع جواز سفره :

- مستر بيتر عونى؟ اسمك بيتر أم بيير؟

ابتسم بيتر ابتسامة أضاعت وجهه الخمرى وهو يقول:

- بطرس.. اسمى بطرس عونى يا خواجه

(تمت)